هيكل الحرية



هيكلنا الحر، يضم الذين يقدسون الفكر ويستوحونه كمشرق للالهام . واولئك الذين يحملون الشعلة الى كل مكان، وينتشرون في مدى ضيائها .

واولئك الذين تحسسوا الحرية في الفكر والقلب والمجتمع، وشملهم حماسها . فانطلقوا وبيدهم معول الهدم وشاقول البناء، يمتحنون قداسات الهيكل العتيق، هيكل الراسفين في الاغلال . . . هيكل اعداء الفكر والبعث، الذين يحملون المقابر في عقولهم وعلى ظهورهم، فمنطقهم وعملهم من وحي القبور الفاغرة .

انهم اعداؤنا الذين نتحداهم وننكرهم، لان الحياة سبقت وانكرتهم، انها تزورّ عنهم وتنبو . . . انها تستصرخ ابناءها، لتباركهم مهدمين بنائين، وتضمهم اليها شامخين متطلعين .

ان جماعة الاحرار يصنعون الحياة للمجتمع، وجماعة المقابر يصنعون الموت له، ولا بد للمجتمع من ان ينتفض فتتناثر الرمم وتهوي مسفة الى الاغوار .

ان جماعة الاحرار يؤمنون بفلسفة الاديان، في البعث والنشور والدينونة . وهم يستفيدون من هذا الايمان، في بعث الامة ونشورها وادانة الظلاميين، الذين يحولون دون هذا البعث وهذا النشور . . .

ان الحياة الانسانية انطباعات او تشكلات لفكرة بعينها، تؤثر في كتلة ضخمة من الزمن، ثم تذوي تحت تأثير تشكلات او انطباعات اخرى، وهكذا دواليك .

فاذا كانت الحياة هي الفكرة، فلا جرم نجد المؤمن بفكرة في الحياة يسعى لنشرها، ويكافح من اجلها مهما كلفته . لان فكرته هي التي تمده بالحياة، وتجعل لها لوناً يجذبه اليها . . فاذا خرجت الحياة عن قاعدة فكرته التي يؤمن بها، فاما ان يعيش غريباً متألماً، واما ان يظل مناضلاً . . فان الايمان حرارة، تفرض الحركة على صاحبها بارادة ودون ارادة . والا فنحن جاهلون بطبيعة النفس البشرية، وجاهلون بآلية الحياة ذات الشرايين .

ان الايمان شعور من الحق، يطيف بكل نفس لا تزال كما خرجت من يد الله، فيؤلف فيها قوة ماضية، وارادة لا تني، وعزمة غلابة . كما يكيفها على نحو تحس معه بكل مغارز الباطل، مهما استخفى في مجاري المجتمع .

الا جذوةً من لهيب الايمان، وشرارة من ضرام الهيكل الحر . . فان جذوة اللهيب، تستحيل في الجموع ارادة تعزم، وقوة تبرم . وان شرارة الضرام تستحيل شعلات، تنير سبيل الفكر . وكهوف النفس التي اعشاها الظلام، وسكب فيها روحية الخفافيش التي تألف الدجنة وترهب الضياء .

ايها الناشيء العربي : جعلك الظلاميون طائراً من طيور الليل، تبصر بقدار وتحلق بمقدار، ولكن في مسافات قصيرة ستضيق وتضيق حتى لا تتسع لك، وتفقد كل قوة من بعد، فان العضو الذي لا يستعمل، يميل حتماً الى الضمور والزوال .

ولكن ايها الناشيء العربي، عرف المصلحون الضيائيون، ان الخصائص الوظيفية انما هي استجابات عضوية على محرضات خاصة . لذلك هم يعملون على دك محرضات الظلام، ويجهدون بسبيل محرضات جديدة . فيها طبيعة الضياء وانبثاقات الشعاع لتتصحح وظائفك وتستقيم خصائصك، وبذلك تتحول كائناً جديداً، جديراً بان تلج هيكل الحياة .

انك — ايها الناشيء العربي — ان تكون جديراً بالحياة، الا اذا تعودت ان تبصر الحقائق في الشمس، فان الظلام لا يزودك الا بالاوهام .

ان الصراع بين الضيائيين وبين الظلاميين، كان ولم يزل صراعاً بين الاستعداد المتطلع، وبين الاستعداد الكسيف الذاوي . ولا بد ان يظفر بعد كل صراع، الاستعداد الناهض . استعداد الجيل الجديد . . .

الاديب

عوامل الانحلال

بقلم عبد الله العلايلي

المشاهد ان المجموع البشري يكون ابداً في حركة ارتقاء مطردة، على ان بعض جماعاته قد تصاب بعلل اجتماعية تبدد نشاطه ، كما تصاب بعض اعضاء الكائن الحي بالشلل مثلاً وسائر الاعضاء الاخرى تكون في حالة سلامة تامة . وكل من هاتين الظاهرتين في الكائن الاجتماعي (الامة) والكائن الحي (الفرد) ، تسببها عوارض مرضية . بيد ان حياة الكائن الحي ظرفية وحياة الكائن الاجتماعي ذاتية خالدة، وذلك لان الكائن الحي يدخل في تركيب الكائن الاجتماعي دخول الخلية فيه ، وناموس توالده (اي الكائن الحي) قائم قياماً طبيعياً ، فبقاء الكائن الاجتماعي اذن ذاتي يستند الى الطبيعة .

وهذا ينتهي بنا الى ان امة من الامم لا تموت ابداً مهما تخلفت ، لان فيها نفس الاستعدادات في الكائن الاجتماعي العام وانما تفتقر الى معالجة وتطهير . . . و كان حظ الكائن الحي احسن من كل الوجوه ، من حظ الكائن الاجتماعي . فان الاول لايبتر منه عادة الا ما هو واجب البتر بخلاف الثاني ، فان النضالات التي هي عملية بتر كثيراً ما تقع على الاصلح وتدور على من هو الاحق بالبقاء . وهذا يعبر عن ان فهمنا لاحوال الكائن الحي وضروراته، اعمق من فهمنا لاحوال وضرورات الكائن الاجتماعي عمقاً مطلقاً ، ولكي نضمن مجتمعاً صحيحاً لا بد لنا من ان نتماثل في فهمنا الاجتماعي على مقدار تماثلنا في فهمنا العضوي . واذا كان حقاً ان الكائن الاجتماعي خالد ، ضرورة ان ناموس الاستمرار في الكائن الحي طبيعي ، نصل الى ان الجماعة قد تتعرض لحالات ضعف او استرخاء فقط . وعليه فما هي عوامل الاسترخاء او الضعف ، التي تتعرض لها المجاميع البشرية في حركة بقائها ؟ . . وللاجابة على هذا يجب ان نفهم اموراً : (١) ان الفرد يؤلف خلية في جسم الكائن الاجتماعي ، وليسمح لنا بتسميته خلية اجتماعية . (٢) ان الفكرة والاوضاع والنظم تؤلف بيئة اجتماعية قد تكون موافقة وقد تكون منافرة ، وهي في تأثيرها على نمو وسلامة الكائن الاجتماعي ، كتأثير البيئة الطبيعية على نمو وسلامة الكائن الحي .

(٣) ان الكائن الاجتماعي لا يتألف من موجودات سياسية مادية فقط ، بل ومن موجودات روحية معنوية ايضاً . وذلك لان الفرد البشري امتداد وفكر ، والفكر في درجة اشتراكه يستحيل مع الزمن الى شعور معنوي راسخ بين الجماعة ، فالجماعة اذن امتداد وروح وبعبارة اخرى موجودات سياسية واخرى شعورية . (٤) ان الحياة الانسانية انما هي من تشكلات الفكرة العامة او ما نعبر عنه بروحية الجماعة ، وعلى مقدار قابليتها للاتحاد بالعقل في حركة رقيه تكون سلامتها .

فالقول بان امة لا تبقى في مستواها الا في حد محدود ، خرافة ووهم انتزع بسذاجة من الوقائع التاريخية المدخولة . (٥) ان الامة والدولة كائنان متمايزان ، قد يتنافران وقد يتجانسان ، وفصول التاريخ على وجهي هدوئها واضطرابها تعلل بهذا التنافر والتجانس . هذه امور من المهم جداً ان نتفهمها ، وبذلك نضع ايدينا على العوامل الحقيقية لانحلال اية مجموعة بشرية تؤلف امة وهي :

اولاً — عدم تزويد الخلية الاجتماعية (الفرد) باسباب القوة ، فان ترك الفرد نهباً مقسماً لشتى عوامل الضعف ، يعود على اية امة بالانحلال لا محالة ، ضرورة انها كائن اجتماعي مؤلف من خلايا مضمحلة . فحيثما تنحط قيمة الافراد او بعبارة ادق ، حيثما يتلاشى الكيان الذاتي للافراد في كيان فرد او طبقة او في كيان الجماهير ، يهزل جسم الامة وتميل للتداعي حتما .

وشواهد هذا الرأي كثيرة كثرة مطلقة في وقائع التاريخ، واترك التزيد من الشواهد الى الكلام عن ظاهرة نفسرها بهذا الرأي : وهي ان الامم التي احدثت الهزات في التاريخ ، كانت انما تحدثها في فترة الانتقال من البدائية او ما يشبهها الى حالات حضارية جديدة ، ثم يطرأ عليها الانحلال وهي في حالاتها الحضارية .

فالرومان والعرب والتتار ، قاموا باعظم ادوار تاريخهم في اثناء حركة الانتقال . وتفسير هذه الظاهرة المذكورة : ان الفرد يكون دائماً في حالات البدائية سليماً ، ضرورة محدودية الاطماع ومحدودية السيطرة . فاذا جربت الامة ان تلعب دورها الكبير، تنزل الى الميدان بجسم صحيح نتيجة صحة الخلايا الاجتماعية التي تؤلفه . وعندما تتشبث بحالات الحضارة تتولد فيها الاطماع الشرهة والوان من النضال، فتعتل الخلايا الاجتماعية رويداً رويداً حتى يعتل جسم الامة ، وتميل ميلاً طبيعياً الى الانحلال .

ثانياً — فساد البيئة الاجتماعية المؤلفة من فكرة واوضاع ونظم فاسدة ، فان الكائن الاجتماعي محتاج الى بيئة اجتماعية صالحة موافقة ، مثل حاجة الكائن الحي الى بيئة طبيعية موافقة صالحة ، فقد يكون الكائن صحيحاً بينما يجيئه الفساد من البيئة

نحن والمعري

بقلم منير البعلبكي

• اننا اذ نحتفل ، عامنا هذا ، بالذكرى الالفية لميلاد ابي العلاء ، قمينون ان نضع الاشياء مواضعها التي هي بها اشبه ، من اول الطريق ، فلا يضل انسان او يستريب ، ولا تحور الذكرى عن وجهها الصحيح الى وجه كاذب مصنوع . فقد اعتدنا ان نرى في ذكرى شاعر ، الفية كانت ام غير ألفية ، معنى من معاني المباراة في مديحه وتمجيده ، على حساب زملائه في الادب ، وعلى حساب النقد جملة . امـا شعراؤنا فاكبر همهم ان يقول احدهم الكلمة تدل على ان كعبه في الشعر من قياس خاص . . . ولا عليه بعد جلا الذي ينظم فيه ، على حقيقته ، ام لم يجله .

مثل هذا الخبط ، ان جاز الى الان ، في مواسم التكريم ، فهو لا يجوز اليوم في مهرجانات ابي العلاء . لا . لان ابا العلاء نفسه لا يرتاح الى هذا النوع من التكريم المجامل غير المسؤول ، فحسب ، بل لان المجاملة والكلام غير المسؤول قد يكونان ، هذه المرة ، على حساب ما هو اقدس من الادب والنقد جميعاً ، على حساب المثل العليا التي نأخذ بها انفسنا ، ونعمل على تحقق الاجيال العربية بها .

ومن هنا تبدأ المشكلة .

• فالحق ان ابا العلاء واحد من عباقرة الفكر العربي القليلين الذين استطاعوا ان ينتزعوا اعجاب القارئين ، في الشرق والغرب على السواء . ولست احسب قارئاً نظر في حياة ابي العلاء ودرس شعره ورسائله ولم يعجب بهذا الذي رأى ، بسراجه المطفأ ، ما لم يره المبصرون ذوو السرج المنيرة ؛ وطالع ، في محبسه الضيق ، احوال الناس واسرار النفوس ، في عصره ، وفي كل عصر ؛ ولخص في ذاته الغنية مأساة البشرية كلها في آلامها وشكواها وتوقها الذي لا ينقضي الى معرفة المجهول . ولكنه اعجاب مصدره العقل والوجدان ، وقد لا يكون نصيب الوجدان فيه اضعف من نصيب العقل . اقصد الى القول ان ابا العلاء انتصر علينا مرتين ، مرة حين غزا عقولنا ، ومرة حين عرف كيف يعطف قلوبنا بعماه الذي احسه باكثر مما يحسه العميان ، وبالوان الحرمان التي اخذ بها نفسه ، كمن يقصد الى تعذيب ذاته ليستشعر بذلك راحة لا يعرفها الا المظلومون . وليس من شك في ان اعجاباً من هـذا الطراز لا يخلو من خطر ، وان خطره ناشيء ، فوق كل شيء ، عن ان موحيه ابو العلاء ، لا اي شاعر من الشعراء .

المحيطة به . نجد اللبناني العربي مثالاً للنجاح الاجتماعي والحيوي في المهاجر ، بينما هو مثال الاخفاق والعجز والاعتلال في الوطن . ومرد ذاك النجاح وهذا الاخفاق الى البيئة الاجتماعية التي تحيط به دون ما ريب ، اذن فلا بد من تصحيح البيئة الاجتماعية ، اي لا بد من تصحيح الفكرة العامة والاوضاع والنظم . فان الفكرة وحدها تخلق الامة وتخلق التاريخ ، وهي العامل الاول والاخير في النجاح او الاخفاق . ثالثاً — عدم التوازن بين مادية الجماعة وروحيتها ، وبعبـارة ادق عدم التوازن بين الموجود السياسي وبين الموجود الشعوري . فاذا غلبت المادية تطاحنت النزعات والاطماع بشرتها كما في المجتمع الحديث ، واذا غلبت الروحية باتت الامة وهي اسيرة صوفية كهنوتية كأمم الهند .

لقد دالت دولة العرب بغلبة المادية في العهد الاموي ، وبغلبة الروحية في اواخر الدور العباسي ، واما دور التوازن المادي والروحي فلم يكن الا في عهد قصير من حكومة الخلفاء .

رابعاً — جمود الفكرة العامة للامة على شكل يجعلها رجعية ، سواء في الاجتماع او الاخلاق او الدين ، والحياة كما قلنا انما هي تشكلات للفكرة ، فتنقلب حياة الامة رجعية على نسق فكرتها كأكثر امم الشرق اليوم .

خامساً — تنافر الامة والدولة ، يجد المتتبع لاسباب الثورات الاجتماعية في التاريخ ، انها ترجع الى هـذا التنافر . كثورة مزدك الفارسي والثورة على عثمان وثورة كرمويل والثورة الفرنسية الكبرى وثورة عرابي باشا وثورة الاتحاديين والثورة ضد الرأسمالية على مختلف انواعها . لان الدولة تمثل الجانب اللاشعبي دائماً ، وفي كل هذه الثورات تجد ما يؤيد هذا الرأي .

فالدولة تريد ان تستغل الامة لحسابها اي لحساب بضعة اشخاص ، والامة تلح ابداً في كبح جماحها . وقد تسنى للدولة الغلبـة في ادوار ماضية ، بيد ان المجتمع الحديث آخذ بالانعتاق والجنوح نحو تجانس مركز ، ولكنه لن يتم الا اذا تبلورت الامة في الدولة تبلوراً حقيقياً .

هذه هي عوامل الانحلال كما احسها وافكر بها ، وهي في مجتمعاتنا البادئة اكثر ما تكون تمدداً وعمـلا . بيد ان في اعماقها ايضاً كل مقومات البعث ، فالى انتفاضات خالقة ادعو قبيلي العرب .

عبد الله العلايلي

• عالج ابو العلاء — فيما سلم لنا من اثاره — معضلات انسانية شتى استغرقت ابواب الفلسفة الالهية والعملية كلها تقريباً . ومهما تباعدت هذه المعضلات من حيث مكانها من صعيد الفكر ، وتغايرت من حيث منابعها اليونانية او الهندية او الاسلامية ، وتناكرت آراؤه فيها ، او في معضلة منها بعينها ، فالذي يجب ان لا ننساه ان وراء ذلك كله اصلاً كان يصدر عنه الرجل ، ويلون كل حرف من كلامه بلون يكون هنا قاتماً ، وهناك مشرقاً ، ولكنه على كل حال صنع يد واحدة تتلاعب بعناصر اساسية لا تكاد تتغير . بلغة الحساب البسيط : قد تختلف « الصور » عند المعري ، ولكن « المخرج » واحد . ذلك هو الروح العلائي.

والروح العلائي حزين يائس ، فيه سخر كثير ونقمة عارمة . واذا كانت في حياة ابي العلاء اسباب متعددات ولدت هذا الروح الكئيب ، فليس من شك في ان حبس ابي العلاء نفسه على التأمل والتفكير الفلسفي قد جعل من هذا الروح عقدة نفسية وعقلية استنفدت جهد الرجل حتى انتهى الى اليأس باقبح معانيه ، اليأس الذي لا يرى له شافياً الا الموت ، يتمناه لنفسه وللناس جميعاً .

والذي اراه ان ابا العلاء اخطأ في حسابه خطأ مسؤولا الى حد بعيد عن كثير مما شقي به هذا الفيلسوف الحيران . فقد اعتقد ، اول ما اعتقد ، بالجبر الذي لا تبقى معه للانسان ارادة ، فهو مجبر حين يولد ، ومجبر حين يموت ، ومجبر ما بينهما على عمله الذي يعمل من خير وشر ، والشر اقوى واغلب . واعتقد من ناحية ثانية بان الدنيا التي يجبر عليها الانسان غادة فاجرة قد فاضت بادناسها وشرورها ، بل هي ام ليس كمثلها ام ، تغدر بابنائها ، وتكلفهم اصناف الشقاء ، يجنونه ما داموا فوق ظهر الارض ، حتى اذا صاروا الى بطنها استراحت جسومهم بعد طول التعب . وليس من شك في ان من ينظر الى الاشياء بهذا المنظار الاسود خليق ان ينتهي الى النتيجة البشعة التي تلزم عن مقدماته التي اصطنع لنفسه ، وهي ان الحياة غير جديرة بان تعاش ، فلنقف عجلتها ، لنتحول مرة واحدة ، دون تجدد المأساة ، في كل يوم . . . وانما فسدت النتيجة لفساد المقدمة ، فقد تختلف الف مرة في اثر الجبر في حياة الناس ، وفي تغليب الجانب الاقبح من الدنيا على الجانب الاجمل قبل ان نتفق مرة واحدة على ان الحياة غير جديرة بان تعاش ، وعلى ان من الحرام امتدادها بالتزاوج والتناسل .

عن هذا الروح صدر ابو العلاء في اكثر احواله ، فكان سلبياً في كل شيء تقريباً ، في قوله بفساد الطبيعة الانسانية ، وتعذر صلاحها بالتعهد والتهذيب ، وفي موقفه من المرأة جملة وتفصيلا ، وفي حربه للاديان والمتعيشين بها ، وفي ثورته على الاغنياء الذين يحقرون الفقراء ، وعلى دمائهم يحيون ، والحكام الذين يظلمون الرعية وهم اجراؤها . واذا كان المعري بناءً في بعض هذه الاراء ، كالتي ذهب اليها في موقفه من رجال الدين والحكام واشباههم من ذوي النفوذ على تعدد اشكاله ، فلعله يجيء ، فيما عدا ذلك ، في طليعة الهدامين الذين عرفهم تاريخ الانسانية .

• وبعد فاين نحن من ابي العلاء ؟ نحن واياه على طرفي نقيض .

فان اقدس واجباتنا في فجر نهضتنا القومية ، اعداد النفوس الناشئة لتحمل التبعات التي تقع على عاتق المواطن في البلدان المتقدمة . وهو عمل يقتضينا السهر على سلامة هذه النفوس الطرية ، نشربها روح الشجاعة والثقة ، ونعلمها ان الحياة طيبة خيرة ، وانها لذلك جديرة بان تعاش ، وتعاش بقوة وعزة ، ونصونها من كل ما قد يدخل اليها الخور والضعف ، ويزين لها الاستهتار مهما كان نوعه .

والروح العلائي حرب على الحياة . واضعف خطره انه ان وجد السبيل الى النفوس السهلة اوقع فيها كراهة العيش والزهد في النضال ، وانتهى بها الى غاية من السوداوية تصبح معها الدنيا ، كما كانت في عصور اوربا الوسطى ، وادياً تراق فيه الدموع . وفي هذا الوادي يعيش كثيرون من « تلاميذ » المعري الذين لا يملكون من الدنيا غير السخر ، السخر من كل شيء . . .

بكلمة صريحة : ان الروح العلائي روح مسموم يتعارض في الاساس والمثل التي نأخذ بها ابناءنا وبناتنا في هذا الزمان .

• واحسب ان هذا وحده كاف لتبرير ما قلته في مطلع هذه الكلمة من ان الخبط والكلام غير المسؤول لايجوزان في مهرجانات ابي العلاء ، ان جازا في غيرها . والذي اراه ان من الخير ان تكون الحقيقة التي ادرنا عليها هذا المقال ماثلة في خاطر كل من يتصدى لتكريم ابي العلاء ، وان توضح للناس ببيان لا يحتمل اللبس . فليس ابو العلاء باعز علينا من هذه الامة ، ولا ضير بعد عليه من النص على اننا اذ نكرمه انما نكرم فيه عبقريته الفذة ، وتقديسه العقل الذي لا يضل من يهتدي به ، وجرأته على النقد الاجتماعي في عصر شاع فيه الفساد ، واستفحل عسف السلطان ، ومفهومه الرفيع الدين ، دون ان يكون في هذا كله ما يفيد معنى الرضا عن آرائه الهدامة التي توصد نفوس الشباب دون مباهج الحياة القوية الصالحة .

منير البعلبكي

شوق

بقلم الياس خليل زخريا

*

ايها المواطنون الكرام(*)

طابت تحيتكم ، وعاشت امنيتكم العلمية الخالصة ، وتقبلتم خير مـا احمل من نفسي ، انا ابن « الكورة الخضراء » ، ومن نفوس رفاقي ، اسرة « الاديب » المجلة العربية الثقافية الكبرى التي احببتم ، فقرأتم ، فتساقيتم ، وكتّابها ، اعذب ما يتساقى الناس في كؤوس الحروف ، من عصير القلوب وثمار الفكر .

القصيدة ، التي تسمعون ، قطعة من « نشيدة فيصل » نزلت فيهـا الكورة الخضراء ، النغم العربي العظيم ، حيث يقف لبنان العربي ، اعلى قمة في اخصب تراب ، مادّاً اجنحته المصفقة ، من ذرى الارز الى ذرى النخيل ، فنمشي هودج نور يهدي الارض ، مرة ثانية ، الى الحق ، والعدل ، والمحبة .

خفقتْ اليكَ فَألَمْتكَ شجونها ... عطشى ، تُبللُ في العتاب جفونها
جرحَ الزمانُ جناحها فتململت ... في الدمع يحملها اليكَ حنينها

•

حيرى تُسائل في التلفت نفسها ... هل غاب كوكبها ، وضل قطينها؟
يحدو بها الليلُ النحيلُ حكايةً ... عطاشَ بحَّ من الانين رنينها
علقتْ باهداب النجوم كأنها ... شُرعٌ تُصعِّدُ في الرياح سفينها

•

نفسي كلألأة السراب غريبةٌ ... في الشطّ تغرق في الظنون ظنونها
تشتاق منبعهـا وأطيبُ منزلٍ ... للطير في شجن العشيّ وكونها
تُغني على الحُلُم الحرار وتنثني ... في الصبح تعبثُ بالضياء شجونها
ويضيعُ في الشفق الشجيّ خيالها ... ويذوبُ في الهمس الخفي يقينها

(*) القصيدة ومقدمتها القاها الشاعر في حفلة مدرسة « عابا » بالكورة والتي نجد كلمة عنها في بريد الاديب .

«الكورة الخضراء» ساح جناحها ... ومياه أضلعها الرقاق وطينها
هي غنّة العصفور في اذن الربى ... وقباب اجراس الضحى وطنينها
... في خاطر الاكمات رفّ طيوفها ... وعلى البطاح الراكنات ركونها

•

عربيةُ الوجنات لوّح لونها ... طولُ الدُرى وطوافها وسكونها
من جرْس نجران البعيد صلاتها ... ومن الغساسنة الصباح جبينها
أنا إن شدوت لها فلست اضلها ... واذا هتفتُ بها فلست اخونها

•

نفسي وازهى ما تحب مشارف ... في السفح يغمرني بها زيتونها
الآسُ حبك دروبها وكرومها ... والسنديان مقيلها وحصونها
والصعتر العبّاق بثّ ترابها ... وغدائر الفجر الندي غصونها
قطعٌ من الاوتار خمّرها الثرى ... في قلبه، فطغت عليه لحونها
فهناكَ ... يحدو بالسفوح يمامها ... وهناك .. يصدح في الربى حسونها
هي في «فم الميزاب» شمخُ جبينه ... وحديثُ هاتيك الذرى وفتونها

•

لبنانُ ما لبنان الاّ واحة ... في الارض، تُروي السامرينَ عيونها
الفكر، في السفر البعيد، ظلالها ... والحس في الظما الثقيل مَعينها
خضراءَ ما يبست غصونُ نخيلها يوماً ولا انقطع، الزمانَ، هتونها
إن جئتَ تنزلها حنت بضلوعها ... أو رحتَ تهجرها، وعاكَ وتينها

•

هي في الوفاء صحائفٌ عربيةٌ ... طفحت بماء المكرمات متونها
تهفو الى الصحراء هفوَ غريبةٍ ... جُرحت فذكّرها الاخاءَ انينها
الجرحُ بوتقةُ النفوس فنعم ما ... حملت من الجرح العميق غضونها
شوقٌ كأن الله في اعماقه ... ومنى كأن الكائنات شؤونها

•

... ولنا الغدُ المخصاب يطلعُ قمة ... شمّاء سُنّد بالجباه حصينها
من مقلع الازل العميق صخورها ... ومن انتفاضات النجوم حزونها
نفسي مشردةٌ على جنباتها ... امضي، وفي الزيت البخور، اصونها

الياس خليل زخريا

الزمـان الوجودي

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة في كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

غـاية الموجود(*) ان يجد ذاته وسط الوجود . فالوجود نوعـان : مطلق ومعيّن ، وكلاهمـا يطلق بعدة معان . اما المطلق فيمتاز خصوصاً بميزات ثلاث : أولها ان تصوره اعم التصورات حتى انه ليعلو على المقولات نفسها . واذا كان كذلك ، فهو غير قابل لان يحد ، لان الحد انما يتم بالجنس والفصل ، وفكرة الوجود لا تدخل تحت اي جنس ، ما دامت اعم الاشياء ، وليس لهـا في ذاتها فصل نوعي ، لانهـا غير متعينة اي تعين . وتلك خاصيته الثانية ، ومنها تستخلص خاصيته الثالثة ، اذ ما دام غير قابل لان يحد ، فانه سيكون غير معروف الماهية ، ولكنه مع ذلك معروف الآنيّة ، لانه الصفة الاولى كل الاولية .

ومن شأن هذه الخصائص الثلاث ان لا تقدم لنا عن الوجود المطلق فكرة واضحة ، ممـا كان مصدر الاشكال في فكرته باستمرار . فالواقع ان الوجود المطلق ليس وجوداً حقيقياً ، لانه اما وجود صرف فيه النظر عن كل تعين ولم نصل اليه في الواقع الا بواسطة التجريد عن الواقع ، واما وجود كلي على هيئـة الروح المطلقة او « الصورة » ، وهو ايضاً ، وان كان اقرب الى العينية ، نوع من التجريد ، اذ فيه يفنى الفرد في كلي غامض لا نستطيع ان نحده الا بواسطة الفرد ، كما ان ما تضمنه من معان ، هي من خصائص الوجود الحقيقي ، قد فهم على نحو يسلبه هذا الطابع .

انما الوجود الحقيقي هو وجود الفردية ، والفردية هي الذاتية ، والذاتية تقتضي الحرية ، والحرية معناها وجود الامكانية .

ذلك ان الموجود المعين على ثلاثة انحاء : وجود الموضوع ، ووجود الذات ، والوجود في ذاته . اما وجود الموضوع فقصد به وجود الموضوعات الخارجية عن الذات العارفة ، اي وجود الاشياء في الزمان والمكان ، سواء أكانت هذه الاشياء روحية او مادية ، واقعية محسوسة او مثالية ذهنية . والخاصية الرئيسية لهذا النوع من الوجود انه وجود ادوات ، اي اشياء يحيـل بعضها الى بعض ويستخدم بعضها من اجل بعض ، ثم انه وجود ليس يعرف ذاته .

اما الوجود الثـاني ، اي وجود الذات ، فميزته الاولى انه يعرف ذاته ، ففيه الانا في نسبة مع نفسه ، والاحالة فيه لا من الذات الى الغير ، بل من الذات الى الذات ، وهي احالة لا تتسم بسمة الاداة ، بل بسمة التوتر الحي والكلية الخصبة التي تحاول ان تفض مضمونها بواسطة الايغال المستمر في الاستبطان الذاتي . فوجود الذات اذن وجود شاعر بوجوده ، يحيل الى نفسه . وقد سمينا الوجود الاول وجود موضوع لانه وجود بالنسبة الى ذات ، اما اذا صرفنـا النظر عن هذه النسبة ، فان هذا الوجود يسمى الوجود في ذاته ، وهو المسمى احياناً ، خصوصاً عند « كنت » ، باسم الشيء في ذاته ، وهو وجود لا يبدره شيء ، وخير ما يقال عن فكرته انها فرض محدد ، قصد به الى وقف المعرفة الانسانية عند حد معلوم ، ليس عليها ولا لها ان تتجاوزه . ولهذا فانه ينتسب بالاحرى الى نظرية المعرفة ، مما يعفينا من البحث فيه هنا في مذهبنا الوجودي هذا .

لم يبق اذن الا وجودان : وجود الذات ووجود الموضوع . فهل نرد الاول الى الآخر ، كما فعلت المادية ، او نرد الموضوع الى الذات كما فعلت المثالية ؟ لا هذا ولا ذاك . اذ وجود الذات لا يمكن ان يفهم مستقلاً عن عالم الموضوعات فيه تحقق الذات امكانياتها عن طريق الفعل واستخدام الذوات الاخرى كأدوات في سبيل هذا التحقيق ، لانه لا بد لهـا ان تظهر في عالم تبذل فيه حريتها وتنتقل فيه ماهيتها من الامكان الى الواقع . اجل ، ان هـذا سيؤدي الى سقوطها ، ولكنه سقوط ضروري ليس فيه معنى القدح ، والا بقيت امكانية معلقة على هيئة وجودية ممكنة . ولا معنى للامكان ، ان ظل دائمـاً معلقاً . كما لا نستطيع من ناحية اخرى ان نرد وجود الذات الى وجود الموضوع لان في هذا قضاء على الذاتية ، اذ تصبح الذات موضوعاً من جملة الموضوعات في العالم ، وفي هذا الفناء لجوهرها . ولك ان تسأل بعد هذا : ولماذا لا نعتبرها موضوعاً من جملة الموضوعات في العالم ؟ أو ليست الذات الواحدة في مقابل ذوات اخرى لا تقل عنها ؟ أولسنا نضعها ، لا كذات كلية واحدة ، بل كذوات عدة ، والا وقعنا فيما حاولنا تجنبه من رفض فكرة الكلي المطلق ؟

(*) خلاصة الرسالة التي نال بها الدكتور بدوي شهادة الدكتوراة وهي ملخصة بقلمه لقراء الاديب .

والجواب على هـذا يستدعي البحث في معنى الذات التي نقصدها هنا ·

اما الذات فهي الانا المريد · والشعور بالذات انما يتم في هذا القول : انا اريد · ولكي يجد المرء ذاته ، فعليـه ان ينشدها في فعل الارادة ، لا في الفكر كفكر ، اي كحالة لا كعملية · ومن هنا كان الخطأ الاكبر في مقالة ديكارت المعروفة · لان الفكر كفكر لا يمكن مطلقاً ان يؤدي الى الوجود ، وبالتالي الى اثبات وجود الذات، اللهم الا اذا فهمنا الفكر بمعنى فعل الفكر ، فبهذا وحده يمكن انقاذ مقالة ديكارت · ولكنه انقاذ لايمكن ان يفيده في شيء، لاننا سنكون حينئذ بازاء مصادرة على المطلوب الاول او بازاء تحصيل حاصل على اقل تقدير · لان معـنى هذه المقالة سيكون في هذه الحالة: أنا ، انا الذات المفكرة ، موجود · وان نكون حينئذ بازاء انتقال من الفكر الى الوجود ، بل انتقال من الذات الى الوجود ، او ، والمعنى واحد، من الوجود الى الوجود ، اي اننا هنا بازاء تحصيل حاصل ·

انما يتم الشعور بالذات حقاً ، في فعل الارادة ، كما لاحظ مين دي بيران بحق : فهو شعور بالانا المريد · ولما كانت الارادة تقتضي الحرية ولا تقوم الا بهـا ، فالشعور بالذات يقتضي الشعور بالحرية · ومن هنا فان الذات والارادة والحرية معان متشابكة يقتضي بعضها بعضاً · ولذا فان الشعور بالذات يزداد بمقدار ازدياد الشعور بالحرية · والذات الحقة، الذات البكر التي تستمد وجودها من الينبوع الصافي للوجود الحقيقي ، هي الذات الحرة الى اقصى درجات الحرية ، الحاملة لمسؤوليتها بكل ما تتضمنه من خطر او قلق او تضحية ·

لكن الحرية تقتضي الامكانية، لان الحرية تتضمن الاختيار، وكل اختيار هو اختيار بين ممكنات · فاذا كان جوهر الذات في الحرية ، فماهيتها تقوم اذن في الامكانية · وهـذه الامكانية ، ليست مطلقة ، اي خالية من كل تحقق ، بل لا بدلها من ان تتحقق · ومعنى تحققها ان تختار من بين الممكنات ، حتى اذا ما تم الاختيار، انتقلت الذات من حالة الحرية الى حالة الضرورة · والضرورة هنا هي تحقق الامكانية على هيئة وجود في العـالم · ومن هنا ايضاً تثبت ضرورة وجود الذات في العالم بين اشياء ·

نحن اذن بازاء نوعين من وجود الذات : ذات مريـدة حرة لا تحتوي غير امكانيات لم يأن لهـا ان تتحقق بعد ، وذات قد اختارت فحققت بعض امكانياتها ، وهي في طريقهـا الى تحقيق الكل ، ان امكن · ووجود الذات على النحو الاول هو ما يسمى باسم الوجود الذاتي الممكن ، ولما كانت هذه الامكانيات جوهر الذات وماهيتها ، فيمكن ان يسمى باسم الوجود الماهُوي · وهو وجود يمتاز خصوصاً بالحرية المطلقة · والصلة فيه ليست صلة بين ذات واخرى او بين ذات واشياء في العالم ، وانما هي صلة بين الذات وبين نفسها · اما الذات التي اختارت فيتحقق وجودها على هيئة الآنيّة ، اي الوجود ، في ، العالم بين اشياء ·

والوجود الحقيقي الاصيل للذات هو الوجود الماهُوي ، لانه الصلة فيه بين الذات وبين نفسها · وهذه الذات اذن فردية الى اقصى حدود الفردية · وهذه الفردية المطلقة او هذا الأنا هو اذن الوجود الاصيل الذي اصدر عنه في كل افكاري وافعالي · وهي حينئذ في حالة عزلة كاملة ، وحيدة مع مسئوليتها الهائلة ، شاعرة بان لها معنى لا نهائياً ، شعوراً يصدر اليهامن كون حريتها مطلقة · وهي حالة تقرب من تلك التي نشدها كبار الصوفية وعبرت عنها القديسة تريزا الابيلادية في قولها : « انا وحدي، مع الله وحده » · والوجود الحق اذن هو هذا الوجود الذاتي ، اما الوجود الموضوعي، اعني الوجود بين الموضوعات والحياة على غرار الموضوعات ، فوجود زائف ، لانني لا اكون فيه مالكاً لذاتي ، بقدر ما تكون الاشياء مالكة لي · والسقوط يأتي من الاتصال باكبر عدد من الموضوعات، فالشرف في مرتبة الوجود يتناسب تناسباً عكسياً مع الاتصال بالغير او بالاشياء ·

والمهم في كل ما قلناه حتى الان عن وجود الذات ان نفهم ان ثمة وجودين : وجوداً للذات على هيئة امكانية ، ووجوداً لها على هيئة واقع · ويتم الانتقال من الامكانية الى الواقع بفضل الحرية · فبواسطة الحرية التي للذات الممكنة تختار الذات بعضاً من اوجه الممكن وتحققه عن طريق الارادة ، وهـذا التحقق العيني يتم في العالم ، ويسمى حينئذ بالآنيّة · وهـذه الآنيّة نوع من التفسير والفهم ، كما يقول هيدجر ، للوجود الممكن والوجود الماهُوي ، والآنيّة مطبوعة على التفسير للوجود الممكن، اعني عرضما فيه ، لان في هذا كيفية وجودها ، اي انها لا تتم الا على هذا النحو ، والا لما كان ثمة تحقق ، وبالتالي لم تكن ثمة آنيّة · والمصدر الذي عنه تصدر الآنيّة في تفسيرها للوجود الممكن هو الزمان · ولهذا فان كل محاولة لفهم الوجود عامة ، والآنية بوجه خاص ، بدون الزمان ، محاولة فاشلة · فالزمان هو الشرط الاساسي في تكوين الآنيّة ، وهو العامل الاصلي في انتقال الوجود الى حالة الآنيّة ،

والزمانية حالة جوهرية الوجود المتحقق، اي للآنيّة . وعلى هذا فلا بد لنا، لكي نفسر حقيقة الوجود عموماً، ان نلجأ الى الزمان فنفسر الوجود من ناحيته، وسنرى حينئذ ان الزمان يمكن ان يفسر به الطابع الاصلي للوجود، ولكل ما في الوجود .

وعدم تفسير الوجود على اساس الزمان هو العلة في اخفاق كل ما قال به الفلاسفة من مذاهب في الوجود حتى الان، والذين حاولوا منهم ادخال الزمان — الى حد ما — في تفسيرهم لبعض انحاء الوجود، لم يفهموا الزمان بمعناه الحقيقي، بل كانت لديهم عنه فكرة اما مبتذلة زائفة واما ناقصة . ذلك انهم فهموا الزمانية بمعنى الوجود « في الزمان » ووفقاً لهذا قسموه اقساماً : فقسم به الوجود يخضع للزمان ويجري فيه كأحداث الطبيعة والتاريخ، وقسم لا يخضع له ولا يرتبط به كالنسب الرياضية . وكل هذا في داخل هذا الوجود . ثم قسموه قسمة ثنائية اخرى الى وجود في الزمـــان، هو الوجود الفاني، ووجود فوق الزمان هو الوجود الازلي الابدي، وبينهما هوة حال البعض اجتيازها بسلسلة من المتوسطات، وقال البعض الآخر ليس من الممكن عبورها .

والوضع الصحيح عندنا ان نفهم الوجود على انه زماني في جوهره وبطبيعته . وتبعاً لهذا فان كل ما يتصف بصفة الوجود لابد ان يتصف بالزمانية، وليس معنى الزمانية مجرد الوجود « في الزمان »، وكأن الزمان اطار يجول فيه الوجود، كما ينظر عادة الى المكان فيخلط بين الزمان والمكان، بل نقول فضلاً عن هذا ان ما يدعون انه « فوق الزمان » او « خارج الزمان » هو ايضاً زماني، ما دمنا نعزو اليه صفة الوجود . وصفة الزمانية اذن تطبـــع كل موجود وتشيع فيه، كروحه الحقيقية، وهي المقوم الجوهري لماهية الوجود، والعامل الفاعل في تحديد معناه .

وتفسير الوجود على هذا النحو فيه ثورة لا تقل في عنفها وخطر نتائجها عن تلك التي قام بها كوبرنيك في عـــلم الفلك . فاذا كان « كنت » قد نعت مذهبه النقدي بانه ثورة كوبرنيكية في نظرية المعرفة، ففي وسعنا ان ننعت مذهبنا هذا بانه ثورة كوبرنيكية في علم الوجود .

وكل ثورة تبدأ بهـــدم الاوضاع السابقة، لذا كان علينا ان ننقد عارضين ما قاله الفلاسفة من قبل في الزمان، وغرضنا من هذا النقد ليس سلبياً كله، بل هو ايجابي في اهم نتائجـــه، وذلك بان يكون النقد اداة لاستخلاص المشاكل والشكوك الـــتي يتضمنها موضوع النظر، ثم لوضعه بعد في الوضع الصحيح المؤدي الى تحقيق الغاية، وهي عندنا هنا تفسير الوجود على اساس الزمان .

والمذاهب التي وضعها السالفون من الفلاسفة في الزمان يمكن ان ترد الى ثلاثة رئيسية : المذهب الطبيعي ويمثـــله ارسطو الذي حلل الزمان تحليلاً يمكن ان يعد الصورة العليا لتفسير الزمان والوجود المرتبط به عند الاقدمين، ثم المذهب النقدي اي المتصل بنظرية المعرفة، وهو الذي اقامه «كنت» وسار عليه من تأثره حتى نهاية القرن الماضي، والثالث هو المذهب الحيوي الذي فصله برجسون . هذا في داخل ميدان الفلسفة، اما في الفزياء فثمة مذهبان رئيسيان : المذهب المطلق، ويمثـــله خصوصاً نيوتن، والمذهب النسبي الذي وضعه انيشتين .

ومن هذا البحث النقدي الشاق نستطيع ان نستخلص النتائج العامة التالية :

١ — ان الزمان نوعان : زمان فزيائي، وزمان ذاتي وسنسميه بعد بالزمان الوجودي،

٢ — ان مشكلة الزمان مرتبطة تمام الارتباط بمشكلة الوجود بوجه عام، وسنرى ان الزمان عامل جوهري مقوم للوجود،

٣ — ان الوجود وجودان : وجود الذات، ووجود الموضوع، ولكن الوجود الاصيل — بالنسبة الى الانسان على الاقل — هو وجود الذات، حتى اننا سننتهي في آخر الامر الى قصر الوجود على وجود الذات،

٤ — ان المقولتين الرئيسيتين اللتين يتعين بهما الوجود هما الواقع والامكان، وتبعاً لهما ينقسم الوجود الى وجود ماهوي، وآنيّة،

٥ — ان الحرية هي الصفة الاولى لوجود الذات، وهـــذا يستخلص من النتيجة السابقة اي كنتيجة لفكرة الامكان كما بيناها، والصلة بينها وبين الواقع،

٦ — ان مشاقة الوجود لنفسه يجب ان تعتبر المسلمة الاولى التي على اساسها يجب ان يوضع كل مذهب في الوجود والاخلاق، وان فكرة التوتر هي الفكرة التي يجب ان تسود كل نظرة وجودية واخلاقية،

٧ — ان العقل المنطقي ليس هو الملكة الوحيدة التي يستطيع المرء بها ان يدرك حقيقة الوجود الحي . تلك اهم النتائج، والناظر اليها يلمح فيها القسمات العامة لمذهب في الوجود سنشرع في بيانـــه في العدد القادم .

القاهرة — عبد الرحمن بدوي

المنظمات السياسية وأثرها في الحياة القومية

بقلم محمود خليل صعب
استاذ في العلوم السياسية ومدير الكلية الوطنية في الشويفات

✲

نحن اليوم في فوضى في شؤوننا السياسية والاجتماعية والثقافية وكلنا ننادي بالاصلاح ونتقدم بالاراء التي نعتقدها تفي بالمقصود وتنشلنا من هـذا التشويش ولكني لا ارانا خطونا بعيداً في الاصلاح ولا ارانا اجمعنا الرأي على السير في اتجاه معين في هذه القضايا المتشابكة المعقدة. ذلك لان هذه الاراء التي تقدم مبعثرة متفرقة لا وزن لها ولا قيمة طالما هي آراء فردية وطالما ان الرأي العام لا يمكن الجزم فيه كما انه لا يوجد هيئات منظمة قوية تعمل في هـذه المناحي وتحدث الانقلابات المنتظرة والتطورات المرغوبة. اننا نفتقر للاحزاب لتجمع خيوط الاتجاهات المتشعبة في المجتمع العربي وتصبها في قوالب جلية فيتضح الهدف في كل هـذه المناحي وعندها يمكن العمـل والسعي بالصورة والسرعة اللتين تسمح بهما الظروف وتقتضيهما الاحوال. ولنأخذ لذلك مثلاً من اجتماعياتنا في لبنان. لا شك ان الاكثرية من اللبنانيين تريد التقرب من الاقطار العربية انما يختلف الداعون اليه بين محبذ للوحدة المركزية وبين من يقول بالتعاون الثقافي فقط الى آخر ما هنالك من الاراء التي تتراوح بين هذين القولين فكم نحن بحاجـة لتفهم مدى التقارب الذي تريده الاكثرية ويتفق مع مصلحة لبنان العليا

واذا ما انتقلنا الى الفائدة الثانية للاحزاب وهي التنظـيم ادركنا حالا حاجتنا القصوى للمنظمات السياسية والى كل ما ينمي فينا روح العمل الاجماعي والتعاون المنسجم. لقد اصبحنا نحن العرب مضرب المثل بروحنا الفردية فلا نألف الخضوع لما يقتضيه العمل الاجماعي ولا نذعن الا لرأينا الخاص وكم نرى في مجتمعنا من ينزع في جهده الى ناحية معينة لا لسبب الا لمعاكسة جهد الاخرين كيما يثبت شخصيته. اني اعتقد انهذه الروح – الروح الفردية – لم تزل فينا من عهد البداوة ثم ازكتها عصور الفوضى قبـل ايام العثمانيين وفي عهدهم. ولم يكن لعزب الجاهلية اي شأن في الشؤون الدولية لعدم انتظامهم في دولة ولأنفتهم من الرضوخ لملك او حكومة حتى جاء الاسلام فكبح فيهم ذلك الجماح واذا هم كالبنيان المرصوص حتى لقد قيل انه ليـلة اليرموك صلى المسلمون جميعاً وكانوا اكثر من عشرين الفاً وراء امام واحد. ونحن اليوم تنقصنا المثل العليا لتذيب فرديتنا في بوتقة الوحدة الاجتماعية وفي وسع الاحزاب ان تصيغ من اهدافنا القومية هذه المثل فنتخطى المصالح الفردية لنعمل في سبيل المصلحة العامة ويسهل عندئذ النظام ويهون على قادة الاحزاب جمع الشمل وتوحيد القوى

وكم نحن بحاجة للاحزاب السياسية لتثقيف الجماهير من المواطنين فيفهمون حقوقهم وواجباتهم السياسية والمدنية. تثار كثير من القضايا التي تهم كل مواطن كل يوم في الندوة النيابية او في الصحف فكم من الناس يا ترى يدرك حقيقة مراميها ويفهم عواقب حلها على وجه او آخر مما يقدم حولها من الاراء. اما ان كان هنالك من احزاب فعليها ان تدرس هذه القضايا المطروحة للبحث وتكون فيها اراء معينة توصلها الى فهم اعضائها ثم تنشرها على الملأ محاولة اقناع الناس بصدقها وصحتها

ثم انه لا بد لنا وقد كاد يستكمل استقلالنا في اكثر الاقطار العربية من احزاب منظمة تقوم بشؤون الانتخابات والحكم طالما ان قد اخترنا النظـام الديمقرطي لحكوماتنا. فبقدر ما تنظم الاحزاب وتقوى يصبح الحكم قريباً الى الديموقراطية الصحيحة. ان مهد النظام البرلماني هو انكلترا واقد نشأت الاحزاب السياسية الانكليزية مع انبثاق فجر هذا النظام حتى وكان لها الاثر البالغ في تكييفه فان وجود حزبين في خاصة الملك واستحالة تعاونهما اضطره الى ان ينتقي وزراءه من فئة دون الاخرى وبهذه الطريقة نشأ نظام تأليف الوزارة من حزب الاكثرية في الهيئة التشريعية

ويكاد يفهم من يجيء حتى الان ان الاحزاب السياسية ظاهرة غير معروفة في الشرق العربي مع ان في لبنـان وسوريا

وفلسطين والعراق ومصر عشرات الاحزاب التي تملأ اسماؤها الصحف والآذان . وسأحصر كلامي فقط في لبنان وسورية والعراق فاقول . . . . . . (مراقبة) . . . . لما بقي في هذه الاقطار هيئة تستكمل الشروط القانونية للاحزاب . فقد تميزت هذه الاحزاب . . . بقطع النظر عن مبادئها بتنظيمها وقيام كل منها حول فكرة معينة وبرنامج معلوم . اما ما بقي مما يسمى احزاباً فشيع سياسية قامت حول القادة والزعماء لا يربطها منهاج معلوم ولا تخضع لتنظيم حقيقي ولا تثبت في اكثر الاحيان على اتجاه معين في سياساتها الا بما تقتضيه مصالح النافذين فيها والقائمين عليها

واني لاعزو قلة نجاح الحكم الديموقراطي في سورية ولبنان والعراق النجاح الذي امله له منشؤوه الى عدة عوامل من اهمها ولا شك عدم قيام احزاب سياسية منظمة تساعد على تسيير شؤون الحكم . ويعتقد البعض ان وجود الاحزاب يقود الامة الى الانشقاق وتفرق الشمل والمنافسة حتى قد روي عن جورج واشنطون قائد الثورة الاميركية واول رئيس جمهورية للولايات المتحدة انه حذر مواطنيه من الاحزاب ودعاهم الى ان يكونوا كتلة واحدة . وماذا نرى اليوم ان اقوى الاحزاب واشملها وادقها تنظيما هي الاحزاب الاميركية . كذلك حذر الملك فيصل العراقيين من التكتل الحزبي . على ان هذا الحذر في غير محله لانه اذا ما كان الحكم شورويا فلا بد من انقسام الاراء واختلاف الفكر وبالتالي من قيام الفرق والشيع والاحزاب . فالدعوة الى الاحزاب المنظمة انما هي لتنظيم هذه الانقسامات التي لا بد عنها وضبطها وحصرها ضمن الوسائل الشرعية القانونية . ولنا من حياتنا السياسية البراهين على صحة هذا القول فقد كنا ولم نزل اذا غلبت فئة منا على امرها في الانتخاب او التعيين فلا ترضخ للغلبة بل تجنح الى اي وسيلة كانت ارضاءاً لنزعات افرادها وتشفياً من اخصامها

لقد وصل الرقي الديموقراطي في انكلتره الى درجة اصبح فيها زعيم المعارضة في مجلس العموم يتناول راتباً من خزينة الدولة ولقد بلغ الحس الوطني بالاميركيين ان عهد الرئيس روزفلت الى خصمه الخاسر في الانتخاب بمهمة تكبد فيها وندل ولكي الخطر والعناء في رحلة حول العالم

ويجدر بنا الان وقد حددنا قوميتنا واظهرنا اهدافنا السياسية العليا وبعد هذه اللمحة عن الاحزاب ان ننظر بنفس الايجاز فيما تقتضيه احوالنا الاجتماعية وقضايانا القومية من عمل وتدبير في منحى التنظيم الحزبي. لقد اشرنا بضرورة التكتل السياسي المنظم وبقي ان نسوق بعض الملاحظات في الطرق والوسائل والاحتياطات الضرورية للنجاح في المسعى

ارى في الدرجة الاولى ان على الشباب العربي وقادة الرأي فيه ان يتوجهوا الى الشعب لاخذ موحيات رسالتهم منه ، من مشاكله وامانيه واحلامه ، وان يبتعدوا قدر الامكان عن الاجواء الرسمية الحكومية وعن المدارس السياسية التقليدية المتمركزة حول الزعماء او المنبثقة عن المصالح الاقليمية والمصالح الخاصة . ولا يسيئن احد فهم ما ارمي اليه فانا لا اقصد النيل من احد انما اقترح ما اراه لازماً لوضع المبادي، ورسم المناهج العائدة على مصلحة الامة بالنفع والخير . ولقد الفنا في الشرق العربي ظاهرة كان لها الاثر البعيد السيء في الثقة الشعبية بزعماء الامة . تتجلى هذه الظاهرة اذ ينخذل نفر من الساعين الى الوصول الى كراسي الحكم فتقام الاجتماعات وتنظم المناهج الصالحة لاستمالة الناس وينضم الى المعارضة كل ناقم على رجال الحكم حتى اذا ما دار دولاب السياسة وتربع المعارضون في منصة السلطة نسوا المبادىء وضربوا بالعهود عرض الحائط . لذلك قلت بان تصاغ مبادىء الاحزاب وتؤسس منظماتها بعيداً عمن لهم في الامر مصلحة خاصة . على انه من الممكن بعد وضع الاسس الثابتة للاحزاب ان تفتح ابوابها لكل مواطن يأنس في نفسه الميل الى اهدافها والرغبة في العمل ضمن دائرتها .

ثانياً – طالما ان هدف العرب الاسمى هو الاتحاد ينبغي ان تؤسس الاحزاب مع النظر الى هذه الغاية في المبدأ وفي التنظيم . اما حيث المبدأ فتجب الدعوة الى تفهم القومية العربية بمعناها الشامل السمح وان يستند هذا الفهم الى شيء من الالمام بوحدة التاريخ العربي والثقافة العربية والمصالح العربية واما من حيث التنظيم فيجب ان تشمل دائرة عمل كل حزب عربي حيث كان مركزه جميع الاقطار العربية على ان يتمتع كل فرع بصلاحيات واسعة او مطلقة في شؤون القطر القائم فيه ، ويتفق على قيادة عليا تشرف على ربط هذه الفروع بالمبادىء والمساعي العامة المشتركة بين الاقطار العربية وان لم يكن هذا فلتكن الاسماء والاهداف والمبادىء والوسائل واحدة يتفق عليها في دور التأسيس وتبحث التطورات اللاحقة في مؤتمرات دورية او بالمراسلة وتبادل المندوبين

ثالثاً – يقتضي العمل السياسي ان ينصرف المرء اليه بكل

جهده ووقته ولذا يجب ان يتفرغ قادة الاحزاب والقائمون على شؤونها الرئيسية للعمل الحزبي السياسي وهـذا بالطبع يقتضي ان يؤمن معاشهم من صندوق الحزب . اما ان يأنف البعض من تناول راتب او نفقات من خزينة الكتلة الـتي ينتمون اليها ويديرون امورها او ان يبخل اعضاء تلك الكتلة على قادتهم بمصاريفهم فقد يؤدي بهم الامر الى ما صار اليه الكثيرون من الزعماء الذين انفقوا رواتبهم او قسماً منها في الجهاد السياسي حتى اذا قيض لهم الوصول الى منصب في الدولة . . . . (مراقبة) . . . .

. . . . (مراقبة) . . . .

رابعاً — يجب ان لا يتعدى النضال الحزبي الوسائل القانونية المشروعة وهذا ما اشرنا اليـه قبلاً من ضرورة رضوخ الاقلية للاكثرية وهـذا ايضاً ما يعتبر المقياس الحقيقي لنضوج الامة السياسي . ولا يخفى ما في الجنوح الى استعمال القوة او القذف المشين غير اللائق من حط بالكرامة الوطنية ومن خسائر في الاموال والارواح . لم تزل الامم الراقيـة تنعت اميركا اللاتينية بعدم النضوج السياسي لكثرة الثورات التي تحدث فيهـا ومع انه قد مضى اكثر من قرن على استقلالها عن اسبانية والبرتغال فانه لولا سياسة الولايات المتحدة وتمسكها بمبدأ مونرو لتدخلت دول اوربا في شؤون هذه الدول الداخليـة ونالت من استقلالهـا وقيدت من حريتها حماية لمصالحها المتضررة من تعاقب الثورات .

خـامساً — يجب ان يبقى الجيش والموظفون المدنيون خارج الاحزاب وفوقها ، فالجيش حامي ذمار الوطن من الاعتداء الخارجي ولا يجب ان يتدخل في شؤون الدولة الداخلية الا اذا قامت ثورة او عصيان على السلطات الدستورية . امـا الموظفون المدنيون فبقاؤهم خارج الاحزاب السياسية ضروري لتـأمين المهمة التي خلقت من اجلها الحكومات وهي ادارة مصالح الناس على السواء وبالعـدل والقيام بالاعمال التي تقررها الهيئات العليا في عمران البلاد ورفاهية اهلها ورقيهم . وفي البـلدان المتمدنة ذات الحكومات المنظمة يوضع الفارق بين الموظفين السياسيين وهم الوزراء ونواب الوزراء وبين الموظفين الاداريين . وينسب بعض علمـاء السياسة كفاءة الادارة البريطانية ونجاحهـا الى انعزال الموظفين فيها عن الحزبية فيعمل المدير او رئيس القسم في دوائر لندن مع الوزير المحافظ كما يتعاون مع وزير ينتمي الى حزب الاحرار او العمال وقد تكون سياسة الواحد مناقضة لسياسة الآخر .

واخيراً لا بد من الاشارة الى الناحية الاخلاقية من الوسائل الحزبية والاساليب السياسية فالرأي الغالب عند محترفي السياسة انها لا دين لها وان الغاية تـبرر الواسطة ولذا فالكذب والمخاتلة ونقض العهود تجوز لا بل تعتبر من باب البراعة والنجابة في ميدان السياسة . على اني مـع شدة حرصي على ان تبلغ بلادي غاياتها القومية ارى غير هذا الرأي — ارى انه طالما ان السياسة بلا دين يتحتم علينا ان لا نندب لها الا كل متصف بالاخلاق الفاضلة التي تفرضها الاديان لرفع مستواهـا الاخلاقي . يجب ان نعترف اننا مصابون بتفكك اخـلاقي في حياتنا السياسية ومعاملاتنا التجارية وعلاقاتنـا الخاصة والعامة وهذه ان دامت فعلى امانينا واحلامنا القومية السلام لانها تمنع استكمال نمونا كأمة وتجعل من المستحيل تعاضدنا واتفاقنا .

لذلك على كل حزب او هيئة او جمـاعة تعمل لبعث مجد الامة العربية ان تعنى عناية خاصة بهـذه الناحية وان تنهج في نظرياتهـا ووسائلها نهجاً مثالياً لا انتهازياً وان تتعمد الدعوة الى الاخـلاق الفاضلة .

الشويفات — محمود خليل صعب

ادب الشعب

بقلم السيدة وداد سكاكيني

من الشعب انبثق الادب وفي دنياه انبسطت آفاقه وتنوعت الوانه ، فالشعب في رأي علماء الاجتماع اول من ابتدع الآداب وغذاها بروحه ودمه حتى تمازجت بشعوره وحياته ، بهمومه وآلامه ، وسيرة ذلك ان الامم في بداوتها وطفولتها لم تكن خلواً من شعر وغناء وقد يؤيد هذا الرأي ما يصل الينا من البداة الهائمين في الفلوات ، فعندهم في ساعات لهوهم افانين مرح وطرب هي بوادر الادب الذي ينمو مع الايام ويسمو فيمثل العقول والميول ، وان من تعرف الى حياة البادية او القرية واحاط بافراح اهلهـا واتراحهم واتصل باسمارهم ومعايشهم وجد عندهم لوناً من الكلام يعبر بلغاتهم ولهجاتهم عن امانيهم واحلامهم ، ويصور فيها غرارة الوعي وسذاجة التفكير ، فاذا تحضر هذا الادب وتسربت اليـه عناصر الثقافة والعمران تعددت مذاهبه وتفاوتت اهدافه ، فصار للناس ادبان عام وهو ادب الشعب وخاص وهو الاريستقراطي ، ولقد سألت نفسي اي نوع من الادبين عرف العرب فوجـدت الجاهلية متكاملة الادب وليس من سنة التطور ان يولد ادبها كاملا ، وقـد عجب ارنست رينان ان رأى شعر الجاهلية على غاية النضج والنماء ، وكان هذا العالم قائل الرأي فان ثمة شعراء سبقوا امرأ القيس في البكاء على الاطلال قبله ، وتقدمهم آخرون انطوت عنا آثارهم واخبارهم ، على ان سنة الخليقة في هذا التطور تقضي ان يكون هنالك ادب جاهلي قديم سبق ما انتهى الينا من الشعر والامثال ولعله كان ادب الشعب الجاهلي لا العامي ، اما شعر الجاهلية الذي منه المعلقات فانه اقرب الى الاريستوقراطية منـه الى الشعبية ، فقصائد النابغة وامرئ القيس فيها منازع الخاصة دون العامة واعتذاريات ابي امامة كانت لاستلال سخيمة النعمان بن المنذر بعد ان كانت بينه وبين شاعره تلك الجفوة والقطيعة ، وشعر الملك الضليل في الغزل والوصف ضرب من كلام الخاصة وفيه صور سياسية يصف فيها ابن حجر الكندي سفرته الى ارض قيصر وخيبة امـله وفوات ثأره لابيه الموتور ، وقد نجد طرفاً من ادب الشعب لدى زهير بن ابي سلمى في ميميته الرائعة عن حرب عبس وذبيان ومدحته للحارث وصاحبه هرم في لمهم ديات القتـلى ينجمونها نجوماً على السنين حقناً لدماء العرب ، وفي وصفه تهاويـل الحرب وويلاتها ، ومواعظه البالغة لخير الانسانية ، فادب الشعب الذي يصور حياة الامة العربية في سوادهـا سواء كان نثراً ام شعراً ، هو الذي التمس وجوده في مقالي هذا

يخطىء من يزعم ان للعرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم ادباً عامياً ، الى جنب ادبهم الذي نظمت به المعلقـات وانشئت بلغته الحكم والامثال ، فان سلامة البيـان من اللحن والركاكة والعجمة ، وازدهار الفصحى على الالسنة تنفي وجود ادب عامي تداولته الطبقات الدنيا ، ولا يكاد ينهض دليل على وجوده لبعد الشقة عن تلك العهود وضياع النصوص التي يمكن الحكم بها على طريقة علمية صحيحة ، وان وجدت تلك القلة من العامة فان القوم ما كانوا يجدون في حياتها مجالا لقول يؤثر ، وقد يظهر العامي بعيداً عن المدائن والعواصم او في ارجائها الجاهلة الوضيعة ، اما عند العرب فكانت الطلاقة والفصاحة تلتمس في البوادي والقرى واليها كانوا يبعثون باولادهم للاسترضاع واكتساب الفصحى ليعودوا منها عرباً اقحاحاً ، كما فعل اكثر شعرائهم المبرزين كأبي تمام وبشار والمتنبي فان سلامة البيان وفصاحة اللسان بقيتـا في حوزة البداة دون المتحضرين في ذلك الحين لكننا اذا انحدرنا الى العصر الاموي تبين لنا ان العجمة والهجنة قـد انسلتا الى لغة العرب لاتساع فتوحهم وامتزاجهم بمن دخل في دينهم فكان لا بد لادب هذه الحقبة من ان يخالطه تحوير وتجديد ، وحق لنا ان نقول اذ ذاك بوجود ادب عامي وان لم يبلغنا منه شيء لان حالة الامة الاجتماعية كانت تريد الناس على هذا الادب وما خلت حياة الامة الثقافية والفكرية من ادب خاص وادب عام ، وحين اطل العصر العباسي بعلومه وفنونه واعجميته ومجونه انقلبت الافكار كل منقلب اذ نقلت في هذا

العصر الى العربية حكمة الهند وعبقرية الاغريق وادب فارس ، وتشوفت نفوس الناس في خلال هذا الانقلاب الى كل سهل جديد ، فأخذ الادب الشعبي في الظهور ، وعقدت من اجله ومن حوله المجالس والاسمار فمشى الى جنب الادب الخاص الذي كان مطبوعاً بياسم الخلفاء والكبراء مكتوباً للدعاية لهم والتفاني في خدمتهم ، ولم يكن يعبأ بتوجيه الشعب وتصوير هواجسه وحاجاته ، غير ان هنالك نفراً قليلاً من الكاتبين والشعراء تمازجوا بسواد الشعب واوضاعهم كالجاحظ وابن المقفع وابي نواس وابن الرومي وغيرهم، كتبوا للشعب ولبقاء ذكره ، وفي هذا العهد عم انتشار الادب الشعبي الذي يصور خواطر الامة ومشاعرها ويدخل المسرة والبهجة على قلوب سوادها وافرادها وكانت « الف ليلة وليلة » ابقى اثر تراءت فيه اطوار الشعب واهواؤه واساطيره وثقافته ومن قبل طلع « كليلة ودمنه » على الناس بصوره الرمزية التي اشتملت على الوان المجتمع بحضارته الشرقية وقد تعاورها الترف والتقليد والخنوع ، واستفاضت في آثار الجاحظ مناحي الكلام على الاخلاق والعادات التي مثلت الشعب ودلت عليه ، اما المقامات التي شاع فيها زخرف الالفاظ وسجعها فلم تلق من الشعب اقبالا عليها كما انهم رغبوا يومئذ عن ادب الخاصة الذي حبسه اصحابه في « الاغاني » و« الامالي » و« وفيات الاعيان » وغيرها من الكتب التي حشرت الروايات والانباء وغالت في بضاعتها المزجاة دون تنظيم وتمحيص ، وبلغ من رواج الادب الشعبي عند العرب ان امتد تأثيره في ادب الغرب فترجمت « الف ليلة وليلة » الى لغاته ، ولما آل ميراث العربية الى مصر بعد ان اديلت العباسية اخذ الادب الاريستقراطي في الخمول والهزال ، وبقي تذوقه وممارسته مقصورين على جمهرة الخاصة وهم قلة وصار ادب الشعب حاجة من حاجات المجتمع كما اتخذه الولاة والحكام لبسط مقاصدهم وتسلية الناس واصطناعهم لما شاءوا فألفت الاقاصيص والروايات الشعبية من اجلهم ، وكانت ارقاها وابقاها على الزمان ملحمة « عنترة » وزاد في شيوع هذه التصانيف الجديدة سهولة نشرها مطبوعة بعد الغزوة النابوليونية حتى باتت لهو العامة في بلاد العرب وانشئت من جرائها المقاهي الشعبية التي يقرأ « الحكواتي » في مسامراتها فصولا منها تستهوي الجمهور بغرائبها ومغامراتها

وشاء القدر ان يبعث هذا الادب الشعبي على ايدي المستشرقين منذ القرن الماضي وجعلت الشعوب الراقية تجدّ في نشره بين آدابها الحديثة ، لا سيا بعد الحرب الماضيَة ، وكان الروس زعماء هذا الادب والعاملين على مكانته فكتب تولستوي وتورغنيف ودوستويفسكي احسن القصص والاحاديث الشعبية وهم الذين كان الادب الاريستقراطي مسيطراً على اقلامهم وتفرد غوركي بهذا الادب الشعبي في صوره الرائعة واحتذاه كثير من الادباء فأنشأوا مؤلفاتهم من اجل الشعب الذي رفعوه اليهم على حين اوهموه انهم على سواء وسرت هذه الامنية الى كثير من اعلام الادب الفرنسيين كأندره جيد وروممن رولان ومن قبل خلع شيخ ادبائهم اناتول فرانس على قصصه الاخيرة شعبية ظاهرة ، وقفى على آثار هؤلاء الكاتبين كثير من الادباء الذين يعطفون على ادب السواد ويؤثرونه على اروع المنتوجات الفكرية ، وها نحن في زحمة هذه الحرب نرى في طليعتهم الكاتب العالمي ايليا اهرنبورغ الذي يستمد من وقائع الحياة الحاضرة ادباً شعبياً سيكون زهرة ريا من ازاهير الادب الحديث بعد ان تضع الحرب اوزارها ، ولئن عدنا بالنظر الى محصول ادباء العرب من مطالع هذه النهضة في بلادهم لما وجدنا لديهم الا اثراً ضئيلاً من ادب الشعب الذي يتصل بشعور المجتمع ويكشف عن الوان حياته أما في هذه الحقبة العصيبة فقد مست الحاجة وتوالت الدعوة الى هذا الادب الذي يسعى اليوم بعض قادته و كاتبيه الى طبعه بطوابع الانسانية المحضة وتحريره من كل ما يقف دون خيرها ورفعتها وبديهي ان ادب الشعب غير الادب العامي الذي ركت الفاظه وماعت معانيه فكان لا مندوحة لازجاله واغانيه عن التبذل والاسفاف ، فهو ادب موقوت مكتوب عليه العفاء والزوال بل هو عثرة في سبيل الادب الشعبي الصحيح الذي يرفع مستوى العامة كلما زالت الامية منهم وان للشعب حقاً باقلام ادبائه وهم احق الناس بالحدب عليه ، يغذونه بالقصة او بالقصيدة بالحديث او بالمحاضرة التي تستثير وعيه وتحرر فكره وتصفي ذوقه ، وان في شيوع الثقافة العامة عوناً على نشر هذا الادب وفي وجود المسارح ورواياتها التمثيلية سبيلاً الى نهضته وتقدمه لا بما ألفه الناس من قصص المهازل والمآسي التي تمثل للنظارة وتستنفد اوقاتهم ومالهم دون جدوى

ولا جرم ان الدنيا بعد هذه الحرب مندفعة في حياتها ، وسياستها وثقافتها ، الى كل جديد سديد وسيكون لادب الشعب النصيب الاوفى من عناية المفكرين والموهوبين الذين يعدون الاجيال للحفاوة بهذا الادب المنشود الذي يكتب له الدهر كل نباهة وخلود .

القاهرة — وداد سكاكيني

مع بنيتي

اذا تطلعت الى وجهها   رأيت امي مرة ثانيه

بنيتي عصفورةٌ شاديهْ   تلعبُ في عش الصبا لاهيهْ
بنيتي لحنٌ رقيقٌ سرتْ   في مهجتي افراحه صافيه
يهفو اليهـا القلب من وجده   فتنتشي احـلامه المـاضيه
بنيتي شعرٌ تغنت به   روحيَ في عُزلتها الساجيه
بنيتي وحيٌ تلقّيته   من نفحةٍ عطريةٍ ساريه
من عبق الزهر سقاه الندى   خمرته العلوية الشافيه
ومن نشيد النبع في حقله   ومن صلاة الغابة الخاشيه
ومن صفاء الجدول المنتشي   ومن رؤى الامسية الحاليه
من عودة القطعان مسحورةً   تصغي الى شبّابة الراعيه
والدرب في سكرته حالمٌ   يسبح في الانشودة الشاكيه
والقرية السمراء في صمتهـا   مطلة من شوقهـا رانيه

*

بنيتي امنيتي في الدنا   ومأملي والبغية الغـاليه
سريرهـا يهتز في اضلعي   تنـام في اعطافه هانيه
أيامها مشرقة بالمنى   طـافحة بالضحك والعافيه

*

بنيتي طيفٌ تعلقته   من صغري والفينة النائيه
صورة امي سربَتْ في دمي   وانبثقت من طفلتي باديه
بُغامها وشوش في مسمعي   وطاف في مهجتي الصابيه
اذا تطلعتُ الى وجههـا   رأيت امي مرة ثانيه

دمشق   انور العطار

صـــوفي اندلسي مجهـــــول

بقلم علي سامي النشار
مدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الاول

✶

الششتري شخصية من اعظم شخصيات صوفيـة الاسلام . وهو يضارع عند بعض المفكرين شخصية استاذه ابن سبعين . على ان ابن سبعين عرف الى حد ما لدى بعض الباحثين . بينما جهـل تلميذه الششتري الى اكبر حد . ولعل السبب في هذا راجع الى ان شخصية الاستاذ العظيمة حجبت شخصية التلميذ . وقد وصل ابن سبعين حقاً الى اوج الفكر في عصور الاسلام . اما الششتري . وهو التلميذ الامين لهذه الشخصية الكبيرة . كما يردد هو نفسه فانه اخذ يعبر في وضوح بل وفي اساوب عامي في ازجال وموشحات عن المذهب الوجودي السبعيني . وهذا التعبير الواضح في الفكرة وفي الاساوب دعا كثيرين من مفكري الاسلام الى تفضيله على استاذه الغامض . وسنجـد من دراسة الششتري صعوبة كبيرة نجدها ايضاً في دراستنا لابن سبعين ولغيره من صوفية الاندلس . وذلك لعدم نشر مؤلفات هؤلاء الصوفية . على عكس ما نراه لدى صوفية المشرق العظام كالغزالي (٥٠٥ هـ) ومحيي الدين بن عربي (٦٣٨ هـ) والسهروردي المقتول (٥٨٧ هـ) وغيرهم من الصوفية الذي نشرت كتبهم . على ان ما وصلنا اليه من اخبـار قليلة عن الششتري قد يكفي في تقديم صورة فياضة عنه .

✶

أ — اما اسمه الكامل فهو علي بن عبدالله النميري ويكنى بابي الحسن . والششتري نسبة الى ششتر — وهي قرية من وادي آش بالاندلس . يقول صاحب نفح الطيب « ان زقاق الششتري معلوم بها »(١) — وتاريخ ميلاده غير معروف لنا . حفظ القرآن منذ صغره ثم سلك مسالك علماء المسلمين في الدراسة . فدرس الفقه ثم انتقل منه الى الحكمة اي الفلسفة . وانتهى به المطاف الى دراسة طرق الصوفية علماً وعملاً . ويشير الغبريني في عنوان الدراية الى منهج دراسته هذه حين يقول « الفقيه الصوفي من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين — له علم بالحكمة ومعرفـة بطريق الصوفية » ويقول المقري « عروس الفقهاء ، وامير المتجردين — وبركة لابسي الخرقة . . . كان مجرداً للقرآن قائماً عليه ، عارفاً بمعانيه . من اهل العلم والعمل »

اخذ العلم عن القاضي محيي الدين بن سراقة الشاطبي وغيره من اصحاب السهروردي صاحب عوارف المعارف ثم اجتمع بالنجم بن اسرائيل الدمشقي سنة ٦٥٠ . غير ان ابرز اساتذته هو ابو محمد بن سبعين . وكان ابن سبعين دونه في السن . لكن اشتهر الششتري باتباعه واخذ بمذهبه . وكان يعبر عن نفسه في منظوماته « بعبد ابن سبعين » ويقال ان ابن سبعين قال له لما لقيه — ان كنت تريد الجنة فسر الى ابن مدين . وان كنت تريد رب الجنة فهلم الي — وقد مات ابن سبعين منتحراً شوقاً الى الاتصال بالله على مايذكر ماسينيون في ترجمته(٢) . فلما مات — انفرد الششتري بالرآسة والامامة على الفقراء والمتجردين . فكان يتبعه في اسفاره ما ينيف على اربعمائة فقير . وقضى الششتري حياته سائحاً مع جماعة الفقراء احياناً ومقيماً في ظاهر مدينة اورباط او في دير حيناً آخر . ويذكر المقري « انه جال الافاق ولقي المشايخ وحج حجات — وآثر التجرد والعبادة » وفي اثناء عودته من الشام الى مصر ، مرض مرض موته بالقرب من ساحل دمياط في بقعة يقال لها الطينة ، فلما عرف اسمها قال « حنت الطينة الى الطينة » واوصى ان يدفن بمقبرة دمياط . فلما توفي حمله

(١) المقري : نفح الطيب الطبعة الاوروبية ١٨٥٥ م — ١٨٦٠ ج ١ ص ٥٨٣ .

(٢) Massignon: Recueil de textes inédits.P.125 اما تاريخ وفاة ابن سبعين فهو ٥ شوال سنة ٦٦٩ هـ — ١٩ مايو سنة ١٢٧٠م

الفقراء على اعناقهم اليها حيث دفن بها . وكانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٨٨ — ١٦ اكتوبر سنة ١٢٦٩ م)

اما عن كتبه فيذكر المقري له كتاب « العروة الوثقى في بيان السنن » و « احصاء العلوم » و « ما يجب على المسلم ان يعمله ويعتقده الى وفاته » و « كتاب المقاليد الوجودية في اسرار الصوفية » و « الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة » و « المراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية » و « الرسالة العلمية » ويقول ماسينيون ان له بجانب قصائده — الرسالة البغدادية في الخرقة — وهي مخطوطة بالاسكوريال نمرة ٧٨٣ ، وديوان به اشعار قصيرة وفي اسلوب عامي ورمزي(١)

ب — وتبدو عبقرية الششتري في نظمه واهمه قصيدة مطلعها :

اری طالبا منا الزيادة لا الحسنى   بفكر رمى سهما تعدى به عدنا
وطالبنا مطلوبنا عن وجودنا   نغيب به لدى الصعق ان عنا

وليست بين يدي هذه القصيدة حتى نستطيع عرض صورمنها . ولكن ماسينيون ذكر ان فيها اسناد الطريقة السبعينية : هرمس وسقراط وافلاطون والاسكندر الاكبر والحلاج والشبلي والنفري والحبشي وقضيب البان والشوزي (استاذ ابن سبعين وشيخه) والسهروردي وابن الفارض وابن قس وابن مسرة وابن سينا والغزالي الطوسي وابن طفيل وابن رشد وابو مدين وابن عربي والحراني وعدي الاموي وابن سبعين الغافقي . وقد شرح هذه القصيدة احمد زروق احد مشايخ الاندلس الكبار(٢) ويقول ابن الخطيب في الاحاطة (انها لم تخل عن شذوذ من جهة اللسان وضعف في العربية ومع ذلك فهي عربية المنزع »

اما اسلوبه في نظمه شعراً كان او موشحاً او زجلا ، فسلس عذب واضح وينطلق في الوقت عينه عن عمق في التفكير حين يعرض لمذهبه الصوفي يقول الغبريني في عنوان الدراية : « تقدم في النظم والنثر على طريق التحقيق . واشعاره وموشحاته وازجاله الغاية في الانطباع » ويقول ابن عباد الرندي في نص سنورده فيما بعد ان ازجاله « فيها حلاوة وعليها طلاوة » ويرى ماسينيون ان اشعاره وموشحاته وازجاله ذات تلحين مؤثر واوزان جديدة تماماً وانه ينبثق من الحانها فيض عميق ..

وقد نتج عن هذا ان صار له طريقة خاصة في نظم الشعر والموشحات والزجل . ويذكر ابن خلدون ان الوزير اباعبدالله بن الخطيب امام النظم والنثر في الملة الاسلامية كان ينشد الزجل على « طريق الصوفية وينحو منحى الششتري منهم »(١) وهذا يدل على ما كان له من اعتبار عظيم في الاندلس جعله رأس مذهب في النظم قصيدا كان او موشحا او زجلا . وسنحاول ان نعرض لبعض صور من نظمه لكي نستخلص منها صوراً من حياته . ثم نستمد منها آراؤه ومذهبه .

*

ج — الصورة الاولى : الصوفي المستغرق

وهذه الصورة تمثل الششتري نفسه ، وهو يمر وسط الاسواق يغني زجلا ، غير عابئ بكائن من كان . انه استغرق بكليته في الخالق . ومن ثمة كانت الكائنات المخلوقة في نظره اشباحاً واوهاماً . ولكن هل يتفق هذا مع سياق مذهبه ، الذي يقول بحلول الخالق في تلك المخلوقات جميعها . اذن كيف يراها الششتري كما مهملا وهي هي الخالق ... وعلى كل فلندعه يغني :

شيخ من ارض مكناس   وسط الاسواق يغني
ايش عليا من الناس   وايش على الناس مني ؟

*

ايش عليا يا صاحب   من جميع الخلائق .
الذي هو نهواه   هو خالق ورازق .
لا تقل يا ابن قلة   الا ان كنت صادق .
خذ كلامي في قرطاس   واكتبه حرز عني .
ايش عليا من الناس   وايش على الناس مني ؟
ثم قولا مبين   لا يحتاج عبارة .
ايش على حد من حد   افهموا ذا الاشارة
وانظروا كبر سني   والعصا والغراره
هكذا عشت في فاس   وكذاك انا هوني
ايش عليا من الناس   وايش على الناس مني .
وما احسن كلامه   اذ يخطر في الاسواق .
ترى ناس الحوانيت   اتلفت لو بالاعناق
بغراره من عنقو   وعكاكيز واقراق .
شيخ مبني على اساس   كما انشا الله مبني
ايش عليا ....

*

د — الصورة الثانية : العشق الالهي

يبدو العشق الالهي عند الششتري على اقصى صوره . فيتوجه نحو الكلمة الالهية او لفظ الجلالة ، كما يعبر عنه المسلمون ، فيحاول ان ينظمه في ترميز لطيف ، باحثاً عنه لا في مكان وبلا اين . فالاين محال على الله . ثم يترنم بهواه الذي اخذ عليه كل شيء . ثم

---

(١) Massignon.....P. 134 - 140

(٢) المصدر الآنف الذكر .

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، طبعة المطبعة البهية ، ص ٤٤٣ .

يتشوق الى الوصل بدون أين :

الف قبل لامين   وهاء قرة العين

*

الف لاهوت الاسم   ولامين بلا جسم
وهاء آية الرسم
تهجى سر حرفين   تجد اسما بلا اين

*

حروف كلها تتلى   ترى القلب بها يجلى
ويسلى بعد ما يبلى
ويدرج بين كفنين   برمزين رقيقين
غرامي بالهدى قد باح   وفجري بعد ليلي لاح
وصرت للوجود مصباح
وشمس بين قمرين   ولا ادري انا اين

*

مناني من به همت   وقوت الروح ان مت
وخوف البين انشدت .
متى يا قرة العين   نجد وصلا بلا اين

*

ه — الصورة الثالثة : وحدة الوجود ...

يتحدث الششتري في هذه الصورة عن مذهبه الوجودي ... فيترنم باسم المحبوب . هذا المحبوب الذي وسع الوجود . بل بدا في كل وجود . ظهر في الناس على اختلاف الوانهم وعقائدهم . واستغرق الكائنات جميعاً ناطقة او غير ناطقة . وهذا هو مذهب وحدة الوجود . الذي انتقل فيه الصوفية من عقيدة التوحيد الاسلامية « لا اله الا الله » الى عقيدة الوحدة الصوفية « لا موجود على الحقيقة الا الله » هذه العقيدة التي حاربها الاسلام اشد محاربة لما ينتج منطقها ، ان كان ثمت منطق لها من نتائج لا تتفق مع فكرة الوعد والوعيد وغيرهما من افكار اسلامية :

اسمع كلاماً ملتقط   افهمني قط - افهمني قط
ايش قال لى واحد عله
ذا المعنى افهم شرحه
ايش اسم حبك قلت هو
اسم الحبيب ما يختلط   افهمني قط - افهمني قط
محبوبي قد عم الوجود
وقد ظهر في بيض وسود
وفي نصارى مع يهود
وفي الحروف وفي النقط   افهمني قط - افهمني قط .

*

ز — الصورة الرابعة : المحبوبة الخالدة « ليلى »

وهذا الفناء في الوجود العام يبدو على صورة اروع في احدى قصائد الششتري ، حين لا يرى في الوجود غير تلك النفس الكلية معبراً عنها بتلك المحبوبة الخالدة « ليلى » وقد رأى فيها جماع اسرار الوجود لانها السر الذي يستوعب الكائنات جميعاً . ومن هنا اتجهت الكائنات اليها بالثناء والتمجيد . أليست هي والشمس سواء . وهاتيك الكائنات هي اضواؤها المنتشرة ، فهي وهم سواء .... فاذا ما ظهرت ، هي موطن الضوء ، واسفرت الذات الخالدة . انتهت الانية او الذات الفردية ولم تعد الا الذات العامة ...

غير ليلى لم ير من في الحي حي   سل ما ارتبت عنها كل شي
كل شيء سرها فيه سرا   فلذا يثني عليها كل شي
هي كالشمس عليك نورها   فمتى ما ان ترى منه عاد بي
. . . .
اسفرت يوماً لقيس فانثنى   قائلًا يا قوم لم احب سوي
انا ليلى وهي قيس فاعجبوا   كيف مني كان مطلوبي الي

ح — الصورة الخامسة : الدير .

هام الششتري — كما هام الصوفية جميعاً — بحياة الرهبان . وتغنى كثيرون منهم بمدحهم . والسبب واضح ، هو التشابه الشديد بين حياة الصوفية وحياة الرهبان : فكلتاهما تقوم على الحرمان والزهد . وكلا الفريقين يتخذ له قاعدة في الوجود . هذا المبدأ « التشبه بالله » والرهبنة في جوهرها تقوم على هذا المبدأ . ارادت ان تسمو بالانسان الى ملكوت السماء غير آبهة بالناسوت . وكان سلاحها في هذا الاعراض عن الدنيا والزهد فيها ، والعيش طبقاً لطقوس خاصة . وقد اتفق رأي الصوفية مع جوهر الرهبنة . وهذا يفسر لنا وصف الصوفية للاديرة ، وتشبههم بالرهبان في ملبسهم وكثير من الوان حياتهم . وفي القصيدة الآتية نرى الششتري يصف ديراً مسيحياً . وكان هو هناك . وقد غلب الشعاع على النهار . وكانوا يحتسون الخمر . ولكنها لم تكن تلك الخمر المعهودة المعصورة — خمر الزنان — انما كانت « الخمر الالهية » خمر الحب الذي يطغى فيسلب الانسان الارادة . وحينئذ يكون الانسان في « منظر خلع العذار » أي « ان يتجلى الحق على العبد بتجل يقتضي حقيقة ذلك التجلي منه ان يتحدى بها فتظهر منه الشطحات » هذا مقام من الفيض عظيم . وقد بدا لهم هناك في هذا الدير الحلاج نفسه في خلع العذار . ثم نشأ في القوم شماس جميل وقور يمشي في وقار . آه . هي هي تلك الذات الالهية التي بدت فيه . فغنى القوم به ثم تاهوا ...

تنبه قد بدت شمس العقار   وقد غلب الشعاع على النهار
سلاماً قد صفت قدماً وراقت   أدرها بالصغار وبالكبار
فما عصرت وما جعلت بدن   وما سكبت زجاجتها بنار

التتمة في صفحة ٦٤

التعاون الأدبي بين الاقطار العربية

بقلم شفيق الارناؤوط

☆

يدأب كثير من ادباء العرب على خدمة مجتمعهم ما استطاعوا ويعملون لخير امتهم ما وسعوا فقلوب كثيرين منهم زاخرة بالايمان وصدورهم جياشة بالآمال تدفعهم فترات الالم من بعض ما يعتور مجتمعنا العربي من ضعف الى الاصلاح القويم مهونة عليهم الم الجهاد. ولكن الجهد موزع والشمل مفرق، فما اشبه ادباء العرب بمظليين قد هبطوا ميداناً فسيحاً مترامي الاطراف فاعتصم كل فريق بمكمنه وراح يحارب ويناضل ولكنه لا يجتمع في نقطة واحدة وفي جبهة موحدة.

نحن نحس في ادبنا وفي مجتمعنا العربيين من عناصر الضعف ما يثير آلامنا وغصصنا، نحن نحس بان حياتنا في هذه الحرب اصبحت تتطلب منا تفكيراً لما بعد الحرب عميقاً وبذلا لجهد عظيم. نحن نرى ان يقظة سياسية شاملة ثارت في مجتمعنا، فشعوبنا تبغي التحرر والانطلاق ... نحن نشعر بضغط على الروح العربية منذ ستة قرون قد ادى اليوم او كاد الى اضطراب عنيف في مجرى الفكر الحديث بما بث فيه من مذاهب ادبية واجتماعية وسياسية لما تدرس على ضوء المجتمع العربي ومصلحة الامة. فالرأي العام كمن اصابه اختناق في غرفة دخنة، فهو يسرع الى النافذة، وان لم يكن هناك نافذة هرول الى السطح، والا ركض نحو الشارع، في الفضاء الرحب ...

فاين ادباؤنا ينفخون في ذاك الفضاء من روحهم؟ ان الظاهرة الجديرة بالتفكير ان ثوراتنا السياسية لم تسبقها ثورة فكرية ادبية شاملة شأن سائر الثورات في اوربا بل كانت جميع الحركات التحريرية في البلاد العربية من جهد رجال السياسة والمعنيين بالقضايا الوطنية وهذه مشاورات الوحدة العربية في مصر اليوم لم يدع اليها من قبل اديب ولا كاتب اذا استثنينا بعض المقالات في فرص متفاوتة وبعض الكراسات عن الوحدة العربية.

لذا كانت جهود ادبائنا جهود افراد وكانوا غير متعارفين على ما في ايديهم من عناصر الحياة التي تضمن له البقاء الحي، فليس هناك تبادل آراء، ولا تنسيق اتجاهات، الامر الذي ينتهي بنضال الاديب الى اليأس والانكماش على نفسه ضارباً بعدته الارض! وهذا منشأ الضعف في التعاون الادبي بين الاقطار العربية.

ولعل الصعوبة في تعريف الاديب «رسمياً» ناتجة عن فقدان المقياس «الرسمي» للاديب. فالطبيب والمحامي والمهندس معروفون بشهاداتهم الرسمية أبارعين كانوا في صنعتهم واعين ام متصرين مخطئين. اما الاديب فهو يولد ولا يصنع ولا دخل لشهاداته ودرجاته الجامعية في مواهبه وانما هي توسيع لافق معارفه وتنظيم لطرق بحثه ان كان موهوبا او ميالا الى الدراسات الادبية، ومن ثم فالدرجة العلمية ليست تعريفاً له بانه «اديب» بل تعريفاً لدرجة من الثقافة لا تتبين ماهيتها الا في انتاجه. وكم من اديب بشهاداته لا انتاج له! وكم من اديب مفطور موهوب ذي انتاج غزير! بل كم من عالم كبير علومه عديمة النفع وكم من عويلم كنهر جارجزيل الفائدة! وان الملاحظ يرى ان جل ادبائنا الموهوبين هم ادباء بالفطرة لم يحوزوا القاباً علمية عالية ولم ينتظموا في دراسات جامعية. ذلك بان الدرجات العلمية قد تبين عما تعلمه ولكنها لا تكفي للدلالة على ما يستطيع ان يعمله.

وعليه كان التعريف العام للاديب بانتاجه لا بشهاداته ولا بتدريسه. ومن هنا نشأت الصعوبة في تأليف نقابة للادباء توحد صفوفهم وتجمع شملهم شأن اصحاب الحرف والصناعات كالعمال والتجار والحلاقين والسواقين والاطباء والمهندسين والمحامين والمعلمين والصحافيين. ومن هنا ايضاً نشأت الصعوبة في تقديم الاديب الى الندوة النيابية لانه ليس له نقابة كبرى او جمعية ذات نفوذ تيسر له هذا السبيل لخدمتها وخدمة المجتمع والثقافة، فترى مثلا ان الصحافيين اقوى نفوذاً واكبر تأثيراً في الرأي العام من الاديب فمنهم نواب وشيوخ في مصر والعراق ومنهم نائب في سوريا.

واذا اردنا وصف المجامع اللغوية مركزاً لنفوذ ادبائنا ومقراً لوحدتهم وتجانسهم واذاعتهم، ألفينا معظم الاعضاء من المشتغلين

بالناحية الاكاديمية البحتة : لغويين ومؤرخين وعلماء لا اثر لهم في توجيه الرأي العام وقيادته الا بمقدار ما في كتبهم من ذيوع في دور الكتب وبين العلماء والمؤرخين الذين لا يتجاوزون في الاقطار العربية اصابع اليدين .

اذن فكيف السبيل الى التعاون الادبي الحقيقي بين ادباء القطر الواحد اولا ثم بين ادباء اقطار العربية جمعاء !

ان في كل قطر جمعيات ادبية مختلفة تظهر حيناً وتختفي احياناً وان منها من تمنح الجوائز المالية المختلفة لانواع من المواضيع والكتب فهل الى جمعها تحت لواء واحد من سبيل ؟ في اعتقادنا ان ذلك امر عسير لاختلاف النزعات الفكرية والسياسية . ولست انعي هذا الاختلاف فهو اظهر ميزات عصور النهضات في آداب الامم . ولكن خير من ذلك وابقى ان تقوم المؤتمرات والمهرجانات الادبية الكبرى في كل قطر مرة في العام شأن سائر المؤتمرات ، على ان توجه الدعوة الرسمية الى الادباء المعروفين ويدعى الى الاحتفال جميع الادباء والمثقفين بلا تحديد . فتؤلف لجنة عليا من جميع الاقطار العربية للعمل على تهيئة المؤتمر واختيار المكان الاول الملائم له حيث تعرض مؤلفات ذلك العام في القطر المنعقد فيه المؤتمر فيتعرف الادباء بعضهم الى بعض وتعرض مشاكل الفكر من ادب ونقد واجتماع وتوجيه فيشعر اديب مصر ان له في ديار الشام اخواناً يشاطرونه رأيه ويشاركونه في جهاده ويشعر اديب الشام ان اديب العراق مطمئن الى مصلحة واحدة ومستقبل واحد والعكس بالعكس مما يجعلنا نرتاح الى جهادنا حاضراً ومستقبلاً في سبيل الحياة الحرة الكريمة !

ولا يسعنا ونحن نتكلم عن التعاون الادبي بين الاقطار العربية الا ان ننبه الى ظاهرة في الادباء المصريين غير محمودة وهي عدم تأثرهم الحركة الادبية القائمة في ديار الشام فلا يفهموننا حق الفهم ولا تتجاوب آراؤنا وتتفاعل ثقافتنا .

ان رواج سوق مصر الادبي في هذه الديار ظاهر ملموس . هذه « الهلال » و « الثقافة » و « الرسالة » و « المقتطف » يقرؤها السوري الى جانب مجلته الاسبوعية والشهرية الادبية بل ان « الاهرام » و « الاثنين » لتقرأ في ديار سوريا ولبنان والعراق بمقدار ما تقرأ اية صحيفة يومية او اسبوعية منتشرة . وهذه ايضاً مكاتب بغداد وكربلاء والنجف والموصل كلها غاصة بمؤلفات مصر وصحف مصر في حين انك لا تجد مظاهر ذلك التآخي او « التعاون المشترك » في مصر . ونلاحظ في هذه الحرب ان نشاط مصر الادبي بيّن واضح في الشام على ازدياد صحف دمشق وبيروت الاسبوعية والشهرية . وابين دليل على ذلك تحديد كمية ما يصدر من مطبوعات مصر الى الخارج . وتبقى مظاهر نشاطنا الادبي محدودة في مصر . وهذا تقصير واضح من ادباء مصر وصحافييها الذين لا ينبهون الرأي العام المصري الى هذه الحركة الادبية القائمة في الشام والعراق ولا هم يطلعون عليها الاطلاع كله ، وفي ذلك يقول طه حسين : « ... نعيش على خواطر تقوم في اكثر الاحيان على العاطفة اكثر مما تقوم على العقل وتعتمد على الالفاظ اكثر مما تعتمد على المعاني ، وينشأ عن ذلك الاختلاف والاختلاط وحوار وجدال قد تسوء معه الصلات احياناً بيننا وبين جيراننا الاصدقاء . فنحن نزعم لانفسنا ويتفضل اخواننا الشرقيون ويزعمون لنا اننا قادة الرأي في الشرق العربي وزعماء النهضة الشرقية في العصر الحديث . ونحن نتأثر بهذا الغرور ونرى لانفسنا حقوقاً ولا نكاد نشعر بما علينا من واجبات . نرى ان على الشرقيين ان يقرأونا وان يتأثرونا ولا نكاد نشعر بان علينا ان نقرأهم دائماً وان نتأثرهم احياناً ... »

فلنعمل اذن على توسيع نطاق تعاوننا الادبي لنجني وحدة او اتحاداً تاماً فليس كمثل الاديب شيء - يستطيع بقلمه ان يوحد بين مشاعر امته ومنافعها ويحقق من حلم وحدتها بما في ادبه من صور الفكر ورسوخ العقيدة ويقظة الشعور .

صيدا — شفيق الارناؤوط

بلاغ من بنك سوريا ولبنان

ان بنك سوريا ولبنان يذكر العموم ، انه لم يضع في التداول اوراقاً نقدية من فئة الخمسين ليرة مطبوعة في مطبعة « برادبوري ويلكنسون » لوندره تحمل على وجهها وظهرها خطاً بشكل حرف V الافرنسي لونه اصفر برتقالي ومؤرخة في اول ايلول سنة ١٩٣٩ . فعلى الجمهور ان لا يقبل هذه الاوراق لان البنك لا يستطيع باي حال ان يقبضها او ان يصرفها .

مشاهـــــد من حياة المرأة

في الشعر العربي القديم

بقلم كمال اليازجي

احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

◆

تمهيـد

٤ – ربة الدار

رفيق العمر : يبدو في الشعر ان المرأة لا تتوخى – في الدرجة الاولى لدى اختيار رفيق العمر ، براعة الجمال وانسجام القسمات ، بل تراعي الفضائل الخلقية : كالكرم والشجاعة والمرؤة والسماحة . وتنفر من اضدادها وبصورة خاصة من البخل والبطنة ولزومه للبيت ، واهتمامه بامر زينته . فتأمل هذه النصيحة :

فلا تنكحي جبساً عباماً معلناً
شديداً على الجار الملاصق جانبه
ولا بطناً لا يبرح الدهر قاعداً
عبوساً اذا ما الضيف حطت ركائبه

واوصى رجل امرأته وهو مشرف على الموت :

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا
اكيبد مبطان الضحى غير اروعا
كليلاً سوى ما زال من امر ضرسه
اغم القفا والوجه ليس بانزعا
ضروباً بلحييه على عظم زوره
اذا القوم هشوا للفعال تقنعا
وكوني حبيباً ، او لاروع ماجد
اذا ضن اوباش الرجال تبرعا
وصول ذوي اكرومة وحمية
وصبر اذا ما الدهر عض فاوجعا

وقالت حميدة بنت النعمان بن بشير تهجو زوجها :

تكحل عينيك عند العشي كأنك مومسة زانيه
وآية ذلك بعد الخلوق تغلف رأسك بالغاليه
وان بنيك لريب الزمان امست رقابهم حاليه

فقد غاظها منه لزوم البيت ، والعناية بامر الزينة، وترك السعي في سبيل الرزق .

على ان اعظم ما ترغب فيه المرأة : الشباب والغنى واشد ما تنفر منه : الهرم والفقر . فالهرم قد يذهب بكل فضيلة ، والغنى قد يستر كل رذيلة ! . قال علقمة :

فان تسألوني بالنساء فانني
خبير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله
فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ شباب عندهن عجيب

وهي قد تخلص لصديقها المودة حتى اذا سرى شعاع الشيب في ظلمة الفودين والناصية اعرضت عنه ، فاذا تصدى لها باللوم والعتاب حملت عليه بالهزء والسخرية . وهذا ما حمل مالك بن اسماء المرادي على ان يقول :

وصفية دامت ودمت لها
ما في المودة بيننا دَخَلُ
حتى اذا ما الشيب لاح له
فجر باعلى الرأس مشتعل
قالت لخادمها مكاتمة
هيهات شيّب بعدنا الرجل
قولي له يحتال بي بدلاً
من حيث شاء ، فلي به بدل

فاذا حم القضاء وزفت الفتاة الى الشيخ ، لا تلبث ان تكره عشرته ، وتندب سوء حظها بنحو ما قالته حميدة في زوجها :

فقدت الشيوخ واشياعهم وذلك من بعض اقواليه

ترى زوجة الشيخ مغمومة   وتمسي لصحبته قاليه
فلا بارك الله في «عمره»   ولا في «عظام له» باليه

مشكلة التفاهم : يصور عهد الحب للعروسين حياة طافحة بالهناءة مغمورة بالسعادة ، لا يشوبها تنافر ، ولا يسودها نزاع . حتى اذا حلت الالفة محل العشق ، واخـذت المودة مكان الغرام ، بدت فروق في الذوق ، واختلافـات في الميول ، ان هي لم تتدارك بالحكمة، وتقابل بروح التسامح، دب الشقاق، وثارت الخصومة. والموقف الحالي لا يسمح بعرض المشكلة عرضاً علمياً ، بل يقضي بذكر ما ورد عنها على لسان الشعراء . والظاهر من ذلك : ان الذي يجسم الخلاف ، ويسوّي النزاع انمـا هو انفراد الرجل بحق الامر ، ولزوم المرأة جانب الطاعة . وقد اتخذ الشعراء من التجاوز على هذا العرف باباً للذم فسخروا ممن يستشير زوجته او ينزل على ارادتها . قال الشنفرى مفتخراً :

ولست بمهياف يعشي سوامه   مجدّعة سقبانهـا وهي بُهّل
ولا جبإٍ اكهى مرب بعرسه   يطالعها في شأنه كيف يفعل

وقال جرير يهجو البراجم :

قيس البراجم شر الخلق كلهم   اخزاهم رب جبريل وميكال
الظاعنون على اهواء نسوتهم   والخافضون بدار غير محلال

ولما كان انقياده اليها عاراً غدا استسلامها اليه فضيلة ، قالت زوجة تفاخر بتفاديها في سبيل زوجها :

قصارك مني النصح ما دمت حية   وود كماء المزن غير مشوب
وآخر شيء انت لي قبل مرقدي   واول شيء انت عند هبوبي

ومهما يكن من امر الخلاف في تحديد الحقوق والواجبات بين الزوجين فان سر السعادة انما هو في الاتفاق العرفي لا في النص القانوني

غصص الحياة : على ان الحياة لا تخلو من غصص تعتريها – اللهم الا في احلام الاماني، وخيال الشعراء.. والسعادة الواقعية في الحياة الزوجية انمـا تتحقق بكبت الرغبات المتنافرة ، وكبح الميول المتعارضة . وهاك مثالاً حياً من تلك الخلافات نوردها على لسان جملة من شواعر العرب : فمن ذلك النزاع التقليدي بين الحماة والكنة ومن خير ما يمثله قصة امرأة ربت ابنها حتى اذا شب زوجته لتقر عينها به . فاذا الكنة تذيقها مر العذاب : قالت :

ربيته وهو مثل الفرخ اعظمه   ام الطعام ترى في جلده زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه   آباره ونفى عن متنه الكربا
انشا يمزق اثوابي ويضربني   أبعد شيبي عندي يبتغي اربـا
اني لابصر في ترجيل لمته   وخط لحيته في وجهه عجبـا
قالت له عرسه يوماً لتسمعني :   «رفقاً فان لنا في امنا اربا»
ولو رأتني في نار مسعرة   ثم استطاعت لزادت فوقها حطبا !!

على ان اقرباء الزوج ربما استبدوا بالزوجة الحديثة ظانين انه قد جيء بها لتخدمهم . قالت زوجة فتية تتألم من زوجها الشيخ وتتشكى من تطاول اقربائه :

أيا عجباً للخود يجري وشاحها   تزف الى شيخ من القوم تنبال
دعاهـا اليه انه ذو قرابة   فويل الغواني من بني العم والخال

ومما ينكد الحياة الزوجية التوتر بين الزوجين . فقد يتمادى الرجل في ايذاء زوجته ادلالاً او تشفياً فتضيق به، وتأبى السكوت على اذاه . وهذا ما جرى للتي قالت :

يا من يلذذ نفسه بعـذابي   ويرى مقـاربتي اشد عذاب
لو كنت من اهل الوفاء وفيت لي   ان الوفاء حلى ذوي الالباب
مازلت في استعطاف قلبك بالهوى   كالمرتجي مطراً بغير سحاب
هل لي لديك اساءة جازيتهـا   الا لبـاسي حلة الآداب ؟!

على ان هذا التوتر قد يبقى سراً مكنوناً فيختصم الزوجان اذا انفردا ، ويتوادان اذا اجتمعا بالاهل والمعارف . قالت شاعرة تصف هذه الحالة :

من عذيري من بعل سوء يراني   واراه بـأعين البغضاء
تتهادى منا الضمائر وحيـاً   بقلى يستكن في الاحشاء
غاض مكنون ما عليه احتوينا   في قلوب الى الفراق ظماء
نتنـائى حديث اثر وعين   بائن انسه عن الاهواء
فكلانا على امس البغض مبـد   كاذب الود من لسان رياء

وقد يستحكم الخلاف بينهما ، ويشتهر امره ، ويلهو الناس باذكاء العداوة . وهذا ما دعا اميمة لان تعاتب زوجها بقولها :

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني   واشمت بي من كان فيك يلوم
وابرزتني للناس ثم تركتني   لهم غرضاً ارمى وانت سليم
فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا   بجسمي من قول الوشاة كلوم

وقد يؤدي النزاع الى الهجر ، وهو شديد على المرأة كما يبدو من قول محبوبة جارية المتوكل .

ادور في القصر لا ارى احداً   أشكو اليه ولا يكلمني
حتى كأني ركبت معصية   ليست لهـا توبة تخلصني
فهل لنـا شافع الى ملك   قد زارني في الكرى وصافحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنـا   عـاد الى هجره فصارمني

وربما كان اشد من الهجر على قلب المرأة ان يتخذ زوجها زوجة اخرى الى جانبها، فتثور في صدرها كوامن الغيرة ، وتقيمها عوامل الغيظ وتقعدها. قال شاعر يصف زوجته في حال الغيرة من ضرتها :

خبروهـا بانني قد تزوجت   فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لاختهـا ولاخرى   جزعاً ليته تزوج عشرا
واشارت الى نساء لديها   لا ترى دونهن للسر سترا :
ما لقلبي كأنه ليس مني   وعظامي كأن فيهن فترا
من حديث نمى اليّ فظيع   خلت في القلب من تلظيه جمرا !

فاذا انتهى الامر بالرجل الى الطلاق رمته بالخيانة والغدر ، واتهمته بافساد الحياة الوادعة . قالت امرأة طالق تقرع زوجها :

غدرت بنا بعد التصافي وخنتنا ... وشر مصافي خلة من يخونها
وبحت بسر كنت انت امينه ... ولا يحفظ الاسرار الا امينها

على ان الطلاق — في حال الخصومة الشديدة — نعمة حرمتها اميمة اذ قالت في زوجها :

اني ندمت على ما كان من عجبي ... واقصر الدهر عني أي اقصار
فليتني يوم قالوا انت زوجته ... اصابني ذو نيوب سمه ضاري
يارب ان كنت في الجنات مدخله ... فاجعل اميمة رب الناس في النار

وهذا من اسوأ ما تصير اليه الحياة الزوجية .

فواجع الدهر : وقد تأتي غصص الحياة عن كوارث محتمة لا يستطيع المرء ردها ولا يقوى على تلافيها : فمن ترمل مفجع ، الى ثكل موجع . والمرأة في مثل هذه الفواجع قليلة الصبر ، عظيمة الجزع ، تسيل دموعها اسفاً ، ويذوب قلبها حسرة . وقد يبلغ بها الاسى حداً تكره معه الحياة وتستعذب عنده الموت . ويبدو ذلك في ما قالته لطيفة الحدانية تندب زوجها :

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بي ... عيشاً ويكثر في الدنيا مواساتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حللي ... كأنني لست من اهل المصيبات
لما علمتك تهوى ان تراني في ... حلي وحلي وهواه من ترجيع اصواتي
اردت آتيك فيما كنت اعرفه ... ان قد تسر به من بعض هيئاتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة ... عجيبة الزي تبكي بين اموات

ويغلب ان تكون الزوجة اشد حرصاً على وداد زوجها المتوفى منه على زوجته المتوفاة . فهو لا يلبث ان يمسح دمعة الحزن من عينه حتى يكحلها بحب جديد . واما هي فيغلب ان تخلص له بعد وفاته فترد الخطاب وتزجر الطالبين . قالت ام عقبة ارملة غسان بن جهضم في مثل هذا الموقف :

سأحفظ غسانا على بعد داره ... وارعاه حتى نلتقي يوم نحشر
واني لفي شغل عن الناس كلهم ... فكفوا فما مثلي بمن مات يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة ... تجول على الخدين مني وتهمر

وليست هذه قاعدة مطردة في النساء ، بل بينهن من هي اشبه بالرجال من الرجال . فقد روي ان امرأة عاهدت زوجها على ان لا يتزوج احدهما بعد وفاة صاحبه فتوفي قبلها فنقضت العهد . ولما الحوا عليها باللوم قالت تبرر فعلتها :

لقد كان حبي ذاك حباً مبرحاً ... وحبي لذا — اذ مات ذاك — شديد
وكان هواي عند ذاك صبابة ... وحبي لذا طول الحياة يزيد
فلما مضى عادت لهذا مودتي ... كذاك الهوى بعد الذهاب يعود

وقد يكون الثكل اشد وطأة على المرأة من الترمل فهي ان ثكلت ولدها حز الحزن في قلبها ، ولذعت اللوعة احشاءها . ويبدو ذلك في قول اعرابية على قبر ابنها :

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت احاذر
كنت السواد لناظري ... فعمي عليك الناظر
ليت المنازل والديار ... حفائر ومقابر
اني وغيري لا محالة ... حيث صرت لصائر

ولئن كان البعض يميل الى تعليل هذا الحزن العميق على اساس الانانية النسائية فأين الانانية في تفجع الاخت على اخيها ؟ وهذه الخنساء قد رثت اخويها باكثر جداً مما رثت به زوجها وولديها . ونحن نمسك عن الاستشهاد بشعرها نظراً لشهرته ونجتزىء بقول ام عمرو بنت مكدم ترثي اخاها ربيعة :

ما بال عينك منها الدمع مهراق ... سحاً فلا عازب عنها ولا واقي
ابكي على هالك اودى فأورثني ... بعد التفرق حزناً حره باقي
لو كان يرجع ميتاً وجد مشفقة ... ابقى اخي سالماً وجدي واشفاقي

٥ — مزكية الحماسة

ثورة الاباء : لم تكن حياة المرأة مشطورة بين الحنين الى محبوب ، والبكاء على مفقود . بل كانت تملكها عاطفة ثالثة لا تقل عن هاتين قوة وارهافاً . تلك هي عاطفة الحماسة والفخر .

فقد لعبت المرأة في حروب الاقدمين وسياساتهم ادواراً لا تقل — مع حفظ النسبة — عن الدور الذي تلعبه المرأة الحديثة في حروب اليوم وسياسة العصر . فقد سجل لها التاريخ بمداد الفخر والتقدير اصطحاب الجنود الى ساحة الحرب واثارة حماستهم وتضميد جراحهم ومؤاساة نفوسهم . وهوذا قبيلة جديس فان رجالها ما زالوا خاضعين لطسم يؤدون اليها الاتاوة ، ويبذلون لها عفاف فتياتهم حتى صاحت بهم عفيرة بنت عفان تعنفهم بقوارس الكلام اذ قالت :

ايجمل ما يؤتى الى فتياتكم ... وانتم رجال فيكم عدد النمل
ولو اننا كنا رجالاً وكنتم ... نساء لكنا لا نقر بذا الفعل
فموتوا كراماً او اميتوا عدوكم ... ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وان انتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء لاتعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما ... خلقتم لاثواب العروس وللنسل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعاً ... ويختال يمشي بيننا مشية الفحل !

وعلى الاثر ثارت جديس وابادت طسم .

وقالت صفية بنت ثعلبة الشيبانية تعتز بفوز قومها على العجم ، وتفتخر بالجود وصون الجار :

انا الحجيجة من قوم ذوي شرف ... الى الحفاظ واهل العز والكرم
نحن الذين اذا قمنا لداهية ... لم نبتدع عندها شيئاً من الندم
نحوط جارتنا من كل نائبة ... ونرفد الجار ما يرضى من النعم

غضبة الحق : وقد كان للمرأة شأنها في الحركة السياسة الحزبية

التي نشطت في صدر الاسلام فطالبت بحق الخلافة وحملت على الطغاة المنتصبين حملات شعواء . قالت سودة بنت عمارة بن الاشتر تحث اباها على التنكيل بالامويين في صفين :

شمر كفعل ابيك يابن عمارة — يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه — واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخو النبي محمد — علم الهدى ومنارة الايمان
فَقُدِ الجيوش وسر امام لوائه — قُدُماً بابيض صارم وسنان

وتأمل هذا الالم الذي يحز في نفس بكارة الهلالية من ظفر الامويين بالخلافة وانتزاعها من يد اصحاب الحق الشرعي بها :

قد كنت اطمع ان اموت ولا ارى — فوق المنابر من امية خاطبا
فالله اخر مدتي فتطاولت — حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لا يزال خطيبهم — بين الجموع لآل احمد عائبا!

هذا هو الدور المشرف الذي مثلته المرأة العربية قديماً على مسرح السياسة . وعليه فحياتها لم تكن محصورة في حنين الى حبيب وبكاء على فقيد ، بل قامت بواجبها القومي خير قيام .

٦ — نزيلة المرهد

سوء الوداع : هذا شأن المرأة في حياتها : تتفانى في الخدمة ، وتأسى للفجيعة ، وتثور على الذل . فاذا قضت نحبها ، وطوت عمرها تناسى الناس امرها وتلمسوا العزاء في التقليل من شأنها . بل ربما اعتبر بعضهم وفاتها ضرباً من النعمة يستوجب الشكر ويستدعي الحمد . قال ابن زيدون يعزي المعتضد بابنته :

ايها المعتضد المنصور — مليت البقاء
انت طب ان داء الموت — قد اعيا الدواء
فتأسى ان ذاك — الخطب غال الانبياء
حبذا هدي عروس — دفنها كان الهواء

ويعتبر بعضهم ان القبر للفتاة افضل من كل ولي لانه احفظ لعفتها واصون لشرفها قال — وبئس القول :

لكل ابي بنت يروم حفاظها — ثلاثة اصهار اذا حمد الصهر
فزوج يراعيها وخدر يكنها — وقبر يواريها وافضلها القبر!

وينهج البحتري هذا النهج في رثاء ابنة حميد الطوسي ثم يتطرق الى ذكر سقطات يتهم بها المرأة ظلماً وافتراء ، قال يخاطب المفجوع :

أتبكي من لا ينازل بالسيف — مشيحاً ولا يهز اللواء
والفتى من رأى القبور لمن طاف — به من بناته اكفاء
قد ولدن الاعداء قدماً — وورثن التلاد الاقاصي البعداء
لم يئد كثرهن قيس تميم — غيلة بل حمية وإباء
واستزل الشيطان آدم في الجنة — لما اغرى به حواء
ولعمري ما العجز عندي الا — ان تبيت الرجال تبكي النساء

بل تبلغ به الوقاحة ان يجعل موت البنت نعمة كولادة الصبي . قال يعزي موسى بن عبد الملك بابنته :

ابا حسن ان حسن العزاء — عند المصيبات والنائبات
يضاعف فيه الاله الثواب — للصابرين وللصابرات
ومن نعم الله — لا شك فيه — حياة البنين وموت البنات!

ضحية الانانية : هكذا بدت لي المرأة من تضاعيف النفثات الشعرية التي وصلت اليها يدي : تولد فتكفهر لها الوجوه وتجهم القلوب ، وتترعرع فيستخف بها ويصغر من شأنها . فاذا نضر شبابها وبدت فتنتها نازعت الرجل السلطة ونافسته في التحكم ، فذلله بالامتناع والصدود ، واحرقها بالغيرة والاستبداد . ومتى مال ميزان العمر عيّرها التكمش والتغضن ، وعابت عليه الشيب وتقوس الظهر ، وتمت الغلبة لصاحب الكفة الراجحة في حفظ النضارة وصون الفتوة . تقضي ما كتب لها من سني العمر تخدم ابويها ، وتعطف على اخوتها ، وتتفانى في سبيل زوجها وولدها ، وتندفع في تأييد اهلها وقومها . حتى اذا دقت ساعتها الاخيرة كفنت بالصبر ، وودعت بالسلوان ! هكذا تبدأ حياتها وهكذا تنتهي !! الا يروعك هذا المثال الحي الناطق من انانية الرجل ؟! وهل ترى في تلك البداية القاتمة وهذه النهاية المظلمة ظلاً للعدالة التي يتبجح بها الرجل ؟! حقاً ان صنونا في الحياة قد عاش الى الآن مبخوس الحق ، منقوص الفضل . فعسى ان يكون عصر النهضة الحديثة عصر انصاف وتحرير .

كمال اليازجي

من فنون الحرب عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيهم
امين المخطوطات بدار الكتب اللبنانية

الحرب خدعة قالها محمد بن عبدالله بن عبد المطلب (١) . وقال المهلب المكيدة ابلغ من النجدة (٢) وقالت العرب رب حيلة انفع من قبيلة (٣) وكانت تقول ايضاً « الحرب غشوم » لانها تنال غير الجاني . ولا بأس من ايراد قول الشاعر الحمدوني : « حماقة تعولني خير من عقل اعوله » (٤)

تحليف الجنود بالطلاق الا يفروا من الحرب

كانت ملوك العرب وامراؤهم وقوادهم يحلّفون الجنود قبل المواقع بالطلاق من نسائهم ان فروا من ساحة الحرب او تراجعوا . ويقال ان اول من احلف الجنود بالطلاق من نسائهم هو زياد بن سفيان (٥) فانه احلفهم بالطلاق الا يفروا من المعامع ولا ينهزموا من ساحة الوغى قبل ان تضع الحرب اوزارها بانتصارهم .

الباس الجنود لباس عدوهم

في سنة ٥٨٦ عندما اشتد الحصار على عكا من الفرنج براً وقلت المؤن والذخيرة فيها ارسل صلاح الدين الى الاسكندرية يأمرهم بانفاذ الاقوات واللحوم والذخيرة في مراكب الى عكا فتأخر انفاذها فسيّر الى نايبه بمدينة بيروت في ذلك فسير له هذا مركباً عظيما مملوءاً من الذخائر والمؤن والعتاد وامر من في المركب من جنوده ان يلبسوا لبس الافرنج (٦) ويرفعوا الصلبان على المركب فلما وصلوا الى عكا لم يشك الافرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت ميناء عكا ادخلها من بها اليه وهكذا نجحت الحيلة ووصلت الذخائر سالمة للجيوش .

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٤٩ . (٢) العقد الفريد ج ١ ص ٦٣ .
(٣) ابن خلدون ج ١ ص ٢٣١ . (٤) غرر الخصائص لابي اسحق برهان الدين الكتبي ص ١٣٣ . (٥) معجم البلدان ج ٨ ص ١٣١
(٦) ابن الاثير ج ١٢ ص ٢٥

قال صاحب فتوح الشام في تاريخه(٧) ما ملخصه : شذ احد قواد الروم عن قومه وانضم الى العرب في وقعة طرابلس في القرن الاول للهجرة غزا هذا القائد بني عمه وكانوا في مائتي بيت من العرب واغار عليهم وشد اكتافهم .وقال لهم لا تظنوا اني غيرت ما انا عليه انما عملت هذا ليبلغ الروم اني غدرت بالعرب وساقهم مع ابلهم وانعامهم الى قائد الروم الذي اطمأن الى عمله وايقن انه رجع الى حظيرته واسرّ انه قاصد طرابلس لنجدة حليفه .

فما جن الليل ومشت الجيوش حتى اطبق القائد المستعرب بقائد الروم وعساكره واعمل فيهم قتلا واسرا وافنى القسم الكبير منهم ولم يبق الا القليل وبعث بجنوده لتلقي القبض على من بقي من الرجال والخيل لئلا يبقى منهم احد خارج عن اسره . فلما حصلوا في قبضته ابقاهم مع قسم من جيشه وبني عمه ثم ألبس عسكره لبس الروم الذي اخذه في الموقعة وسار نحو طرابلس فخرج كل من في البلد الى لقائه بالفرح والاهازيج — وكان قد وصلهم كتاب ملكهم اني بعثت اليكم بثلاثة الاف فارس — ودخل القائد المستعرب مع اصحابه بلباس الروم حتى استقر به الامر في دار الامارة وجيوشه تحيط به وبها ودخل عليه شيوخ طرابلس واهل الحشمة منهم فلما حصلوا عنده امر بهم وقبض عليهم وقال : يا اهل طرابلس اما التسليم واما الفناء فعرفوا انهم اخذوا بالحيلة وفضلوا الطاعة على القتل فلما ملك هذا القائد طرابلس واحتوى عليها واستوثق من سورها وابوابها قال لجنوده لا تدعوا احداً يخرج من الابواب وكان في المرسى مراكب كثيرة فنزل بقسم من جيشه بلباسهم الرومي المزيف الى المرسى فرفع الالات المراكب واخذها . كل ذلك ولا احد يعلم من اهل الساحل بما جرى داخل السور . وبعد ايام جاءت مراكب كثيرة زهاء خمسين مركباً فتركهم القائد المستعرب حتى نزل اكثر رجالها الى الساحل فأمر بهم فأتوا بهم اليه فاستخبرهم عن حالهم وقال من اين جئتم قالوا انا قادمون من جزيرة قبرص ومن جزيرة اقريطش (كريت اليوم) ومعنا العدد والسلاح من ملك الروم لعامله في طرابلس . فاظهر لهم الفرح والسرور وامر بهم الى دار الضيافة وبعث الى قواد المراكب فانزلهم وقدم لهم السماط فلما اكلوا قال اني اريد ان اسيّر اليكم الزاد والعلوفة الى خدمة الملك ولكن تقيمون عندي ثلاثة ايام فقالوا للقائد المستعرب ايها البطريق انا على عجل من امرنا ونخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم

(٧) فتوح الشام ج ٢ ص ١٥ و ص ١٦

حتى اذعنوا له فقال اريد ان تنزلوا الشراعات والمقاذيف فتكونوا في المدينة ليطمئن قلبي بذلك ففعـلوا والصقوا المراكب بالسور ونزل كل من في المراكب وما بقي في المراكب الا ثلاثة رجال . فلما دبر هذا التدبير قبض على الجميع فلما كان الليـل سلم طرابلس لبني عمه وللحرث بن سليم وعمر المراكب برجاله وهم بالصعود اليها للذهاب الى فتح صور وعند غروب الشمس اذ بخالد بن الوليد قد اقبل في الف فارس من اصحابه فلما رآهم القائد المستعرب سلم خالد بن الوليد المدينة وحدثه بما جرى

وفي سنة ٧٩٤ ربح احد القواد على الافرنج موقعـة عظيمة غنم منها الغنائم الكثيرة من ذخائر وألبسة وعتاد وسلاح . فلبس القائد جنوده لباس عدوه (٨) واركبه خيله وجعـل يأتي حصون شيحان وبها اعداؤه فكان العـدو عندما يرى الجيش يظنه جيش حلفائه فيخرجون من الحصون فرحين جزلين ظناً منهم ان اصحابهم انتصروا في الموقعة وهم راجعون اليهم . وعندما قرب من مستقبليه فاجأهم بالطعن والضرب واستولى على حصون شيحان ثم تابع زحفه بلباس وخيول جنوده المزيفة واستولى بتلك الطريقة على عدة قلاع وحصون .

الهدنة

وكان للهدنة شأنها في الحروب الماضية وكانوا يعلقون عليهـا خطورة كبيرة فيدققون في شروطها وكيفية تنفيذها . وقل من خالف شروط هدنة عاهـد عليها من الملوك والامراء . وكانت تحدد مدتها حـتى بالايام والساعات . ففي سنة ٦٧٠ للهجرة اغار صلاح الدين على عـكا (٩) وسأله اصحابهـا المهادنة فاجابهم الى ذلك وهادنهم على عشر سنين وعشرة شهور وعشرة ايام وعشر ساعات(١٠) وجاء في كتاب الروضتين : وعقدت هدنة عامة في البر والبحر والسهل والوعر ووقعت المصالحة مـدة ثلاث سنين وثلاثة اشهر(١١)

محالفات عدم اعتداء والانتصار للمعتدى عليه

وقد حصلت معاهدات جمة بين الدول لعدم التعدي على بعضها البعض . فان الملك الاشرف ارسل عام ٦١٥ يقبح اعمال اعتداء مظفر الدين على جيرانه من الملوك ويقول له : « ان قاعدة حفظ جيراننا من الدول تقررت بيننا جميعاً بحضور رسلك واننا نكون على الناكث الى ان يرجع الى الحق ولا بد من اعادة ما اخذت لندوم على اليمين التي استقرت بيننا . فان امتنعت واصررت فانا اجيء بنفسي وعسكري واقصد بلادك وغيرهـا واسترد ما اخذته واعيده الى اصحابه والمصلحة انك توافق وتعود الى الحق(١٢) » .

مقابلة الجيوش بعضها بدون قتال

لما زحف ثاودريقي البوزنطي في جيشه الى بقعة حمص قابله الجيش العربي من بعيد . غير ان الجيشين استمرا مدة خمسة اشهر لا يواقع احدهما الاخر«١٣» ثم احتدم القتال بين الفريقين فكان ما كان من امرهما .

ازالة الضرائب اثناء الحروب

ومن اساليب سياسات الاقدمـين انهم ارضاء للاهلين واستمالة لهم ابان الحروب كانوا يتساهلون بتطبيق القوانين ويخفضون الضرائب عن المكلفين فقـد روى كمال الدين صاحب تاريخ حلب«١٤» ان اهل حلب شكوا لاميرهم وذلك في القرن السادس للهجرة فداحة الضرائب التي عليهم وانه يصعب عليهم القيـام بها طيلة ايام الحرب القائمة فأمر بازالة هذه الضرائب وعلق بذلك لوحات على جدران معاهد المدينة لتطمين الاهالي برفع هذه الضرائب عنهم

ابطال الملاهي ايام الحرب

وكانوا عند نشوب الحرب او اشتداد الكرب يأمرون بقفل الحانات ودور الملاهي وما شاكلها من محلات اللهو والملذات مراعاة لعواطف الاهلين وشعور اهل البلاد«١٥» من ذلك ما جرى في عهد هرون الرشيد فانه حصل في البلاد ضيق عظيم فأمر باقفال الملاهي والتوبة وكثرة الدعاء لله ليفك العسير ويرحم العباد«١٦»

الامن العام في الحروب

وقد بالغ الملوك في الاهتمام بالامن العام اثناء الحروب اهتماماً

---

(٨) Recueil des Historiens Orientaux Tome I p.p. 222-223.

(٩) كتب المؤرخون عكة بانواع مختلفة منهم من كتبها عكا وعكاء وعكة وعكه (١٠) عقد الجمان ص ٢٤٧ (١١) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ص ٧٨

(١٢) كامل التواريخ ص ١٣٢ طبعة باريس «١٣» تاريخ الرهاوي ص ١٥٣ «١٤» تاريخ حلب لكمال الدين ص ٦٢٥ «١٥» حضارة الاسلام في دار السلام ص ١٥٢ . «١٦» المستطرف ج ١ ص ٨٢

عظيما وقضوا بالعقاب الصارم على من اثار القلق والاضطراب بين الاهلين او اعتدى على احد باية طريقة كانت ، فنرى ان تسيم الدولة[17] صاحب الموصل ابرم على اهل كل قرية من قرى مملكته انه اذا اعتدى احدهم كائناً من كان على قافلة في حدودها وخراجها غرم جميع اهل القرية وألزموا بتأدية حقوق القافلة ريثما يحضرون المعتدين او يأتون بما سلبوه. فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم فيها وناموا وقام اهل القرية يحرسونهم الى ان يرحلوا[18]

تعمير بلدان امام بلد استعصى فتحه

في سنة ٥١٤ هـ حوصرت مدينة حلب ولما استعصى فتحها عمر العدو بلداً بضواحيها ليمنع عنها القوت والمعونة والزاد والعتاد[19] ويجبر الجيش المحاصر على التسليم وهكذا كان.

وكانوا اذا اضطروا البلاد تازمهم لحماية تخومهم يأخذونها عن طريق الشراء اذا امكن ذلك. فقد جاء في المختصر في اخبار البشر[20] ان الاسماعيليين اشتروا حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون لحاجتهم اليه كي يتمكنوا من حماية تخومهم ومصلحة بلادهم.

لا يعقدون صلحاً منفرداً

ومن قصة يطول شرحها نذكر منها : « ... فاحضر السلطان الديوان (سنة ٥٨٨ هـ) وذكر يافا وعملها واخرج الرملة منها ولدّ ومجدل يابا ثم ذكر قيسارية واعمالها وارسوف وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها واخرج منها الناصرة وصفورية واثبت الجميع في ورقة وقال للرسول هذه حدود البلاد التي تبقى في ايديكم فان صالحتم على ذلك فمبارك وقد اعطيكم يدي فينفذ الملك من يحلف في بكرة غد والا فنعلم ان هذا تدفيع ومماطلة. وجرى الشرط ان يدخل صاحب انطاكية وطرابلس في الصلح[21] » ولا يمكنه ان يعمل صلحاً منفرداً ولا ينقض عهداً ابرمه مع اي كان. ولا يتم صلح الا اذا وافقت عليه حلفاؤه والا فانه يفضل متابعة الحرب مع حلفائه على عمل صلح منفرد مع اخصامه.

نور الدين بيرم

«١٧» الدولة الاتابكية بملوك الموصل ص٢٩ «١٨» الدولة الاتابكية بملوك الموصل ص ٣٠ «١٩» المختصر في احوال البشر ج ٢ ص ٢٣٧ «٢٠» المختصر في احوال البشر ج ٣ ص ٨ «٢١» كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ص٧٧

تطلب الاديب ومنشوراتها

✯

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضي
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات مطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	السيد عبد السلام السباعي / السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	السيد حنا نصره / عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متزلجي
طرطوس	«	الاستاذ صالح علي
حلب	«	السيد جان رزق الله كردي
الباب	«	الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل. س. في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم

خزف سامراء

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي
الاستاذ في تجهيز حلب

☆

ان الحفريات المتتالية التي قام بهـا علماء الآثار للكشف عن آثار سامراء، تلك البلدة التاريخية التي شيدها العباسيون على نهر دجلة ، كان لها الاثر العظيم في معرفة حضارة تلك المدينة الزاهرة . وقد عثر البحاثون فيما عثروا، على نماذج من الخزف ، يرجع عهدها الى اوائل القرن الرابع الهجري او التاسع الميلادي . اختلف العلماء في معرفة الاصل ، (فساره) في كتابه الشهير « خزف سامرا »(١) يعدها من اقدم آثار الخزف المعروف في العراق ، كما يراها (كاله) اعتماداً على (هوبسون) انهـا خزف اصلي جلبت من بلاد الصين نفسها .(٢)

لا يهمنا في هذا المقال البحث عن القيمة التاريخية والفنية لهذه الصنعة ، ولكن الذي يهمنا معرفة المواد المتخذة وكيفية العمل والاساليب المتبعة وبما ان التاريخ يذكر لنا شيئاً عن ذلك ، فنود فحص النماذج نفسها ، مستعينين بالطرق الحديثة ، علها تكشف لنا ما غمض علينا . وقد كان لناشر هذه الدراسة حظ الاشتراك بالبحث عن تلك الآثار ، ذلك البحث الذي لا تقتصر فـائدته على القيمة التاريخية ، بل تتعداها الى توجيه المصانع العصرية ، لان صناع الخزف تستنير من جديد في تنويع النماذج، فتخرج للاسواق مصنوعات غير معروفة من قبل .

بسبع نماذج كشفت في سامرا من الخزف الاصلي والمقلد ، نود بالفحص المجهري والتحليل الكيمائي ، وقابلية الانكسار ، والنور المستقطب، ان نعرف المواد المشكلة، والمستعدنات المتخذة، والحرارة المستعملة للخزفة الاصلية والطلاء الذي عليها ، وسنبدأ تفصيل ذلك على حدة بعد عمل قطع رقيقة تسهيلا للفحص المجهري ، مسترشدين بالاخصائيين في هذا البحث الفني وخاصة (اوبناور).

١ — ان القطعة الاولى لون فخارتها(٣) اصفر رمادي ، وطلاؤها بلون اخضر السيلادون(٤) . وعند التسخين تخف الصفرة ويزداد اللون الرمادي . اما المسامات فيها فقليلة : وقد اعطى التحليل الكيميائي بالنسبة المئوية النتيجة الآتية .

الرمل الصافي « السليس »	٧٤ ، ٦٨
اكسيد الحديد « الصدأ »	٢ ، ٣٨
الكلس	٠ ، ٤١
القلى « اكسيد البوتاسيوم »	٢ ، ٢٣
الالومين مع التيتان	١٨ ، ٨٨
حمض التيتان	٠ ، ٥
اكسيد المانغنيزيوم	٠ ، ٤١
مواد عضوية طيارة	، ، ٢٩
المجموع	٩٩ ، ٧٨

يتبين من هذا التحليل الكيميائي ان مادة السليس هي اكثر المواد ، حيث ادى الفحص المجهري لرؤية باورات المرو(٥) بكل

(١) راجع كنوز الفاطميين لزكي محمد حسن ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٢٧٠ سطر ٩

(٢) انظر مقال كاله الممتع عن المنابع الاسلامية للخزف الصيني ، راجع المصدر المتقدم ص ٢٦٧ سطر ٢ و ص ١٦٧.

(٣) اصطلحت بالمقال هذا بكلمة الفخارة على الخزف المجرد من الطلاء .

(٤) السيلادون هو اللون الاخضر البحري الذي كان مرغوباً عند الخزفيين ، كنوز الفاطميين ، ص ١٧٥

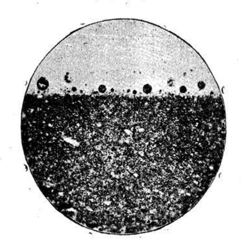
(٥) كانت بلورات المرو (الكوارتز) معروفة منذ القديم ، وقد قال يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب بان اجود البلور الاعرابي يلقط من برارجهم من بين حصاها وقد غشي بغشاء رقيق عكر ، ويوجد منه ما يوازي الرطلين ، كما يلقط ايضاً بسرنديب وهو دون الاعرابي في الصفاء — ومنه ما يخرج من بطن الارض فان كان في ارض العرب كان اجود . قال : ورأيت منه قطعة زادت على مائتي رطل وانما كانت كثيرة الغيم والثقوب . وله معدن بارمينية وآخر بيدليس من تخومها يضرب لونه

وضوح ، فشوهدت زوايا الانفلاق خالية من التشققات كما ظهر للعيـان ذرات المرو الدقيقة الآخذة بالانصهار . وقد شوهد الزيركون[٦] وقليلا من معدن الروتيل[٧] ، وحسب قابلية الانكسار المضاعف يلزم ان يكون هناك مستعدن المولايت[٨] . في جميع هذه المواد مسامات صالحة للترشيح ناشئة من تخلخل المادة الغضارية . وتظهر مـادة الطلاء في المنطقة الاساسية على النور المستقطب بصورة سالبة ، وفي الطلاء نفسه تشققات قليلة ، ويظهر في امكنة الفقعات الهوائية تجمعات دكنة تتكرر مراراً . ويرى بصورة جلية حبات صفراء تميل للخضرة تشكل العنصر الفعال في الصبغ[٩] .

٢ — قطعة بلون ابيض اصفر وطلاء لا لون له : ان فخـارة هذه القطعة متشكلة من حبيبات خشنة ومن مادة غير متجانسة التي يظهر فيها خاصة التموج ويمكن للانسان ان يرى بوضوح كيفية صب مادة متجانسة فوقها بجبيبات دقيقة ، واكبر قطعة منها يبلغ كبرها ٠،٣٢ مليمتراً . اهم المستعدنات التي ترى فيها المرو بخطوط محدودة وزوايا ظاهرة آخذ قسم منها بالانصهار قليلاً ، بجانب ذلك قطع المرويت[١٠] . اما قطع المولايت فقليلة جداً ، ويشاهد قطع المولايت بصورة غزيرة في المـادة المنصهرة . والطلاء بلون شفاف يضرب الى الصفرة وهو عبارة عن مادة منسجمة مع المادة الاصلية محتوية على مادة دكنه تعطي للفخارة لوناً ابيض ضارباً للصفرة . تكثر الفقعات الهوائية في ناحية الحافة وبالقرب من الفخار والطلاء حدود ظاهر ناتج عن التفاعل الكيميائي . يلاحظ جلياً في الطلاء تشكل بلورات ابرية دقيقة ، تنتقل الى مادة الفخار نفسها وتشكل معها وحدة منسجمة . لا يظهر في البلورات اية علامة من علامات الاستقطاب ، والمادة الخارجية لا لون لها ولا تشققات فيها ، وتحتوي بين آونة واخرى على فقعات غازية مستديرة ناشئة من المسامات ولا تتجاوز قرينة الانكسار فيها اكثر من ١،٥١ .

٣ — قطعة من الخزف فخارتها بلون رمادي وطلاؤها بلون اخضر السيلادون . ان المواد المشكلة لهذا النموذج محماة الى درجة عالية ، لان جميع حبيبات المرو آخذة بالانصهار . ورغماً عن ذلك فالشكل البلوري وزواياه تظهر بكل وضوح . اما فقعات الهواء فهي اكثر من النموذج السابق ، ولا يتجاوز كبر البلورة الواحدة ٠،٠٣ مليمتراً ، وتكاد تكون التشققات معدومة عدا عن بلورات المرو فهناك الزيركون والرتيل بلون اخضر رمادي وكذلك المولايت واوساخ دكنة من الصعب معرفتها . اما الطلاء فلا لون له وقرينة انكساره ١،٥٥ . وفيه بلورات مجهرية تظهر النور المستقطب منفياً . اما الفقعات الهوائية فقليلة ، وكذلك التشققات التي يجتمع فيها كثير من الاوساخ .

٤ — خزفة بلون رمادي ضارب للبياض وطلاء بلون شفاف



نموذج مجهري للخزفة رقم ٣

الى الصفرة . راجع الجماهر في معرفة الجواهر ، حيدر آباد ١٣٥٥ ، ص ١٨٤ . وقد ذكر عن البلور البيروني مؤلف الكتاب المار الذكر والتيفاشي والاكفاني وغيرهم ، راجع نخب الذخائر للاب انستاس ماري الكرملي ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٦٣ وما بعدها .

(٦) تركيبه السليس واكسيد الزيركونيم ، يوجد في بلورات المرو ويتبلور بصورة موشور رباعي بطرفيه هرمين على شكل قريب من المرو ، وما يقصده البيروني بكرة البلور التي وجد فيهـا سنبلة من سنابل الطيب الهندية برمتها هي كما بين اوبناور الروتيل (الجماهر ١٨٨) مجلة المستشرقين ز . د م . ج . ، ٩٠ ، ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٧) تركيبه اكسيد التيتان ، يوجد ايضاً في معدن المرو وينتهي بهرمين ايضاً ، (م ٦)

(٨) يشبه البلور ويختلف عنه بقـابلية الانكسار المضاعف التي هي اقل بكثير من البلق (سبات ديزلاند) .

«٩» يلزم ان يكون الاخضرار ناشئاً عن النحاس والصفرة من الحديد بالشعلة المرجعة ، . راجع هوبسون ، دليل الخزف الاسلامي من الشرق الادنى ، المحرر باللغة الانكليزية والمطبوع في لندن ١٩٣٢ ، انظر مقـال رودر عن الخزف الفارسي . ز . د . م . ج ، ١٤ ، م ص ٢٣٤

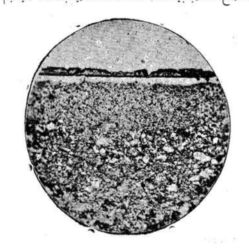
R. L. Hobson, A Guide to the Islamic Pottery of Near East, London 1932.

«١٠» المرويت (كوارتزيت) من الصخور المتحولة ، فتحل الميـاه الساخنة المشحونة بغـاز الفحم مقداراً من السليس الموجود في الصخور الطبيعية ثم ترسبه بين حبات المرو فيتكون صخر شديد التماسك يعرف بالمرويت .

ضارب للخضرة : ان هذه المادة تحت المجهر ملأى بقطع غير شفافة يحتوي الطلاء فيها على مادة زجاجية اصلية تشكل المادة الاساسية التي يمكن تفريقها بتشكلاتها المحدثة التي يكثر فيها التشققات . ويجلب النظر مستعدنات المرو التي هي احياناً بزوايا بلورية وطوراً آخذة بالانصهار . يوجد كذلك قطع الزيركون المتكسرة العديمة اللون ، وكذلك قطع قليلة من الموليت والسليمانيت «١١» . وتعرف هذه المادة الاخيرة بالاستقطاب العالي ، كما يجلب النظر كميات لا بأس بها من حبيبات غير شفافة (اوباك) متداخلة في المادة الزجاجية الاصلية تسبب الدكنة فيه . والفخارة مشربة بطبقة دقيقة تكاد تكون زجاجية خالصة بلون اصفر ، المادة الاساسية آخذة في الناحية العلوية شكلاً بلورياً ، رقيقاً يعقب ذلك قسم ثان لا لون له وهو خال من التشققات ، اما قرينة الانكسار في الطلاء فهي ١،٥٥ والفقعات تشكل ثقوباً في الاعلى ، واللون آت من الطلاء السفلي لان العلوي لا لون له . ١٠١ قرينة الانكسار فهي تصل الى ١،٧٠ لوجود الاصباغ المعدنية الكثيرة ، ولون الطلاء اخضر وفيه تشققات كثيرة، يشاهد قسم منها على الطلاء دون اندماج، فالطلاء زجاجي ، لان المادة الغضارية في الطلاء مفقودة تماماً ، سواء كان ذلك العلوي منه او السفلي . هذه القطعة اذن هي في دور الانقلاب بين صنع الخزف الصيني والمزج بين صنع الفخار والزجاج «١٢» .

«١١» تتشكل هذه المادة من مزيج من السليس والالومين وتوجد في معادن المرو ، راجع هوفمن ، الكيمياء غير العضوية .

«١٢» يراعى في صنع الخزف وجود مادة في الطلاء تركيبها يشبه تركيب الفخار مع مادة زجاجية ، فاذا فقدت المادة الغضارية جاء طلاء لا ينسجم



نموذج مجهري للخزفة رقم ٤

٥ – قطعة من الخزف بالوان متعددة بنكت وبطلاء زجاجي رقيق : ان هذه الفخارة تمتص الماء بنهم ، لونها احمر يضرب الى الصفرة المضيئة ، تتحول بالشي من الحمرة المشربة الى الصفرة الخالصة ، بعض نواحي القطعة يرى بلون ابيض قدصب فوقه طلاء فاتح بارضية شفافة ذات نكت ، يختلف لونها من الزيتوني حتى الاخضر الدكن المكون من الاخضر الضارب للسمرة . وفي الطلاء تشققات شعرية تزداد بالحرارة العالية .

وقد اعطى التحليل الكيميائي بالنسبة المئوية النتيجة الآتية :

الرمل (السليس)	٦٣،٥٩
الالومين مع التيتان	٢٩،٢٧
اكسيد الحديد	٢،٠٦
الكلس	١،٦٨
اكسيد الماغنيزيوم	٠،٤٧
القلى (اكسيد البوتاسيوم)	١،٦٤
مواد عضوية طيارة	١،٠٠
المجموع	٩٩،٧١

تحتوي هذه الفخارة على المرو الملون بلون اصفر ابيض غير نظيف ، وتتراوح كبر البلورات ٠،٠٣ – ٠،٠٨ مليمتراً . وفي المادة ثقوب كثيرة قد تجمع فيها شيء اسود يقرب من لون صدأ الحديد . يبلغ غلظ الثقوب حتى المليمتر الواحد ، واحياناً تتجمع الى بعضها بعضاً محدثة ما يقرب شكله من الخيط ، وترى الزوايا في قطع المرو بكل وضوح ، كما ترى سطوح الانفلاق والحدود الآخذة بالانصهار . بعض هذه البلورات صافية تماماً ، ومنها يحتوي على الموليت والزيركون ذي البلورات الصغيرة والروتيل . وتلعب اكاسيد الحديد دوراً هاماً في تشكيل اللون وخاصة في تجمعها عند الثقوب يشاهد الانكسار المضاعف ضئيلاً جداً ولا يزيد عن المرو الا قليلاً . تحتوي المنطقة السفلى على مسامات دكنة – وعلى الغالب غير شفافة، نادراً ما تكون حمراء غامقة ضاربة الى الخضرة، كما تحتوي على حبيبات قاطعة مكونة من المادة التي تشكل الصبغ . تنتهي المنطقة البلورية المجهرية بالتشكل الوحيد الاتجاه (ايزوتروب) «١٣» ، وقرينة الانكسار فيه تتراوح بين ١،٦٣

مع الفخارة، لهذا الغرض يأخذ عدا عن الرمل والكلس والجبس الفلدسبات القابي المطحون الذي من تفتته يحصل الغضار ، ولما كان عند الصينيين القدماء مادة الفلدسبات غير معروفة ، فقد كانوا يضعون قليلا من الغضار في الطلاء نفسه .

«١٣» ان البلورات سواء كانت ضمن الصخور او في الاجسام الصنعية تسير على نظام خاص ، اذا كان الاتجاه يمشي على نسق واحد سمي وحيد الاتجاه (ايزوتروب Isotrope) كما هو الحال في المرو ، وتشتق هذه

—١٫٦٥ . وفي الطلاء تشققات جمة تتطاير بالحك والجلاء .

٦ – خزف بطلاء زجاجي رقيق صب بعد التبرد، يحتوي على نكت بالوان متعددة : تفترق هذه المادة اذا دققت تحت المجهر بظهور حبيبات آخذة بالانصهار ومتجمعة على بعضها بعضاً باون اصفر ضارب للسمرة . لا تتأثر المادة مطلقاً بالنور المستقطب ، ويقل الانصهار في الباطن ويزداد في الخارج ، ونظراً لذلك يلزم ان يكون الشي في هذا النموذج شديداً ، اكثر من كل ما مر معنا ، فالحرارة طبعاً يلزم ان تكون بنفس النسبة شديدة ايضاً . اما التشققات فتكاد تكون معدومة ، ولا تظهر الا في بعض حبيبات المرو ذات الزوايا المحدودة الآخذة بالانصهار التي من جراء ذلك يصعب تفريق وحداتها عن بعضها . في المادة الفضارية فصوص من صدأ الحديد تسبب توسيخها . من النادر وجود الزيركون ، كما انه يشاهد كميات قليلة جداً من المولايت في المادة الاساسية . ولا يرى للطلاء، بعد جلائه لون حتى تحت المجهر، وقرينة الانكسار للمواد المتطايرة التي يبلغ كبرها ٠٫٠٠٩ مليمتراً ١٫٦٥٤ فقط .

٧ – قطعة من الخزف الصافي الابيض التي تختلف عن النماذج السابقة بما يلي : متشكلة من مواد قابلة للاندماج مع بعضها بعضاً بالحرارة ، يرى تحت المجهر فصوص من المرو بزوايا ظاهرة وباون ابيض لبني معكر «١٤» يبلغ كبر هذه القطع ٠٫٠٤ مليمتراً . يكاد يكون القسم الاعظم منصهراً تماماً والبلورات المجهرية آخذة شكل وحدة الاتجاه (ايزوتروب) ، رغماً عن نقاء المادة ففيها فقعات غازية عديدة «١٥» . اما الطلاء نفسه فتشكل من مادة شفافة خالية من التشققات، وقرينة الانكسار فيها ١٫٥١–١٫٥٢ مما يدل على ان المواد المعدنية تكاد تكون معدومة ، فيها ايضاً مسامات عديدة مملوءة بصورة شديدة بمادة فخارية اصلية آخذة بالانصهار . تنتهي مادة الطلاء بحافة باورية مجهرية تختلط باعلى طبقة من الفخار ، بلون ابيض لبني ومنصهرة معها . نظراً لدقائق ذرات البلور لا نجد ثمة علامات ضيائية خاصة ، وتتشكل بعض حبيبات المرو الصغيرة الموجودة في الطلاء تفاعلات كيميائية خاصة، وغالب الظن ان هذه التفاعلات حادثة من تأثير السليس في المواد القلوية، مما لا مجال لذكرها هنا . في المرو يشاهد بعض التشكلات اشبه بما يحصل في احجار البورفير الطبيعية «١٦» .

تدقيقات عامة

ان الفحص المجهري للنماذج كلها ابان لنا بأنه بجانب الغضار ، كانت المادة التي تلعب دوراً هاماً هي المرو ، ولا نجد في الخزف مستعداً آخر بصورة اساسية . طبعاً اذا استثنينا التشكلات الحادثة بسبب تفاعل المواد مع بعضها بعضاً . دل الفحص ايضاً ان حبات المرو هي حبات صافية لا شوائب فيها ابداً ، من المهم جداً عدم وجود المرو المدحرج والمدور ، بل ان الزوايا فيه رغم الحرارة المؤثرة في المادة لترى بوضوح . حتى اننا اذا نظرنا الى الذرات الآخذة بالانصهار لرأيناها بالعين المجردة عديمة الشكل الباوري » ولكن عند تكبيرها نرى خطوط الحدود بصورة ظاهرة . هذه الحقيقة تدعنا نسأل انفسنا من اين استحصل صانعو الخزف القدماء على قطع المرو . أمن الرمل العادي أم من بلورات جزأت من مادة اخرى ؟ الجواب على ذلك يلزم ان يكون المرو نفسه ، فلو ان الصناع استعملوا الرمل بدلا من المرو ، فلا بد من رؤية آثار الرمل في المجهر ، ولما رأينا الزوايا واضحة حتى في اقسام المرو المختلط بالغضار استدللنا على ان المستخدم قديماً قطع المرو الصافية من مقالع البلور الصخري «١٧» . نحن نعلم حسب الوثائق التي بأيدينا انه كان يستحضر لعمل الخزف نوع من الصخر يقولون عنه انه ابيض دهني «١٨» . ولا نعلم ماذا يقصدون في البياض هل الشفافية

الكلمة من كلمتين يونانيتين : ايزوس Isos معناه وحيد وتربوس Tropos معناه الاتجاه .

«١٤» يقصد بتعكير الزجاج اعطاؤه لوناً ابيض كاللبن، وذلك بواسطة كمية قليلة من الفلوئور ، وهذا التعكير لمن الضروري في صنع الخزف ، ويقوم قديماً عوضاً عن الفلوئور صدأ القصدير ولكن بكمية قليلة .

«١٥» هذه الفقعات الغازية يلزم ان تكون قد تشكلت اثناء احماء المادة القلوية وبقاء غاز الفحم ضمن الطلاء وعدم تمكنه من الخروج ، لانه اذا خرج تشكلت تشققات ، فيلزم ان تكون الحرارة عالية في البدء ومن ثم حصل التبرد فجأة فانحبس الغاز ضمن المادة، وغاز الفحم يلزم ان يكون قد حصل اما من الحجر الكلسي او من مادة القلي الذي يلزم ان تكون متشكلة من الفحمات القلوية .

«١٦» يحتوي البورفير على ٧٠ في المائة من المرو ، وله حبيبات زجاجية دقيقة ، ويختلف لونه بين الابيض والاصفر والاسمر والاحمر والاخضر ، نادراً ما يوجد به تشكلات محبوسة داخلها المرو مع الفلدسبات الاحمر والطلق الابيض ، وهذا النوع هو المقصود .

«١٧» لعل هذا البلور الصخري الموجود في العراق هو ما كان في النجف . وقد ذكر الاب الكرملي في كتابه القيم نخب الذخائر في احوال الجواهر للاكفاني ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٦٥ : « وفي النجف من ديار العراق بلورني صاف، تتخذ منه الخواتم والاواني وكان كثير الوجود في عهد الجاهلية وصدر الاسلام بل لعهد العباسيين انفسهم ، ولحسنه وشهرته في العراق يسمى در النجف ، ولعلهم كانوا يتخذون البلور منه » .

«١٨» ذكر ذلك اوبناور رائد الفحص المجهري للخزف ، نقلا عن

ام البياض الحقيقي ! وعلى كل يلزم ان يكون مدلول الدهني اللمعان في المكاسر حين القطع للاستعمال ، كما هو معروف عند قطع البلور الصخري «١٩» . اما التجزئة فقد حصلوا عليها بالدق ، وهذا ما جعل وجود فصوص صغيرة في المادة . ان هذا المرو كان يمزج مع الغضار لصنع الخزف ، لان المادة الاساسية المشكلة لخزفنا هذا هي حسب التحليل الكيميائي للسليس والالومين . اما المواد الباقية فهي حسب النسب المئوية قليلة . دلت التجارب ايضاً ان الحديد وصدأه غير ناشيء من المواد الاصلية ، بل ان الآلات يلزم ان تكون مستعملة من الحديد، والا لرأينا آثار الحديد في البلورات نفسها او في لون الغضار ، ففصوص الحديد واكاسيده لترى بصورة مستقلة ، قد ملأت امكنة الفقعات ، وحسب تأثير الماء اخذت تراكيب الاكاسيد المائية . ونستدل من بعض النماذج من وجود الحديد الصافي على ان الاواني كانت مغلقة والا لأثر الهواء في المادة فأكسدها .

ان المواد القلوية الارضية المستعملة هي الكلس الذي يجب ان يكون استحضر من تكليس الصخور الكلسية، سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة . اما المواد المعدنية المستعملة في الاصباغ فهي كثيرة يدلنا على ذلك الوان الخزف المختلفة «٢٠» ، وعند عدم وجود اللون قرينة الانكسار ، غير ان التحليل الكيميائي لم يوضح لنا تماماً نوع الاصباغ المعدنية المستعملة لكميتها القليلة ، وقد كانت الاكاسيد المعدنية بصفة مسحوق ، وكانت تمزج مع الطلاء مزجاً تاماً وتصب فوق الفخارة ، ودليلنا على ذلك تغلغل اللون في جميع اقسام الطلاء . لم يتوصل العمال للصبغ بالاكاسيد المعدنية بصورة متقنة ، ودليلنا على ذلك وجود اقسام منها غير منحلة . اما صب الطلاء ، فيلزم ان يكون قد جرى بعد تبريد الفخار والدليل على ذلك حصول تفاعلات بين الفخارة والطلاء وذلك بتشكيل حبيبات دقيقة . لم يكتف صناع الخزف لزيادة لمعان الطلاء بعمل طلاء واحد بقرينة انكسار ضعيفة، بل استعملوا لهذا الغرض طلاء ثانياً بقرينة انكسار عالية وبلون شديد . ان اقل وسخ يعكر شغل الخزف لحصول اللون الاسود نتيجة التفحم ، وان شيئاً من ذلك لم يقع مما يدل على ان الشغل كان نظيفاً جداً ، فاقل بقعة تؤثر بالحرارة وتعكر منظر الخزف كذلك اقل اكسيد من الاكاسيد المعدنية يحدث التلون غير المرغوب . اما الحرارة فيلزم ان تكون لم تتجاوز ١٢٠٠ درجة مئوية ، ودليلنا على ذلك اخذ البلورات في الانصهار ، ولم تنصهر تماماً كما هو الحال اليوم ، فدرجة ١٥٠٠ اذن لم يتوصلوا اليها . ولا يمنع ايضاً من اتخاذهم اواني حديدية للصنع كما زعم هوبسون وكما بينا ذلك من قبل لان الحرارة غير كافية لصهر الحديد .

لا نقدر اعطاء الحكم القطعي هل ان هذا الخزف صنع في سامرا او جلب من الصين . ويا حبذا لو اجريت تجارب فنية على آثار الخزف كله ودونت النتائج لمقارنتها بخزف سامرا حتى يتبين لنا عندئذ ما هو المقلد والاصلي . وعلى كل في النماذج السبعة هذه نرى تطوراً في الصنعة ، تطوراً من الطلاء الزجاجي الى الطلاء الغضاري ، وان هذا التطور ليوحي الينا محاولة اقامة صنعة مستقلة مرتكزة على التجارب الخاصة ، فلو كان التقليد رائد الصناع لرأينا الشكل قد تكامل في النموذج ، وبما ان الواقع غير ذلك ، نقدر اعطاء الحكم بان هذه الصنعة قد جربت بصورة مستقلة في سامرا نفسها ، طبعاً اعتماداً على النماذج فقط . واذا صح ما قاله لنا البحاثة المصري في الفن الاسلامي زكي محمد حسن بان الخزف الصيني قد عرف منذ عهد ابن طولون في مصر ، وان الخزفيين المصريين قاموا في تقليد الخزف الصيني ارضاء للذوق السائد في ذلك العصر ، بعد ان عرف الخزف في سامرا «٢١» ، قدرنا ان نعمم الحكم بان صناع هذه المدينة كانوا الرواد فيها في العالم الاسلامي ، ويؤيد هذا الرأي ما قرأناه في المستمع العربي (سنة ٤ عدد ٢٣) عن صناعة الخزف في العصور الاسلامية لادوارد ارثور لين ان للخزف الاسلامي ميزة خاصة على غيره اذا علمنا ان اول خزف اسلامي ظهر في هذه البلدة،

كاله في مقاله المنابع الاسلامية عن الخزف الصيني ، المصدر المتقدم ، ٣٦ ، وحسب تقرير على اكبر الذي وجد في الصين في عهد العاهل جنقته عام ١٥٠٦ م .

«١٩» يذكر قطع البلور بصورة مفصلة احمد بن يوسف التيفاشي في مخطوطته عن الاحجار المحفوظة في غوتا ٢١١٠ . اما قطع البلور كفن ، فقد ازدهر في عهد الفاطميين ، الكنوز ، المصدر المتقدم ص ١٨٧ وما بعدها .

«٢٠» الالوان التي كانت موجودة تتراوح بين اخضر السيلادون وبين الرمادي والاصفر والاسمر ، وينقص فيها لون الازرق الذي كان شائعاً فيما بعد في فارس ومنه انتقل الى باقي الممالك ، وكان يتخذ من الكوبالت ويعطي لوناً لازوردياً ، ينقص كذلك في سامرا لون البنفسجي المتخذ من ثاني اكسيد المنغانيز، ويستعمل منه كمية قليلة لترويق الزجاج، وكذلك التذهيب ، الذي كان له فيما بعد مكاناً مرموقاً في الخزف الاسلامي . وعلى ما يظهر ان المعادن المتخذة للتلوين في سامرا هي الرصاص والنحاس والحديد عدا عن القصدير .

«٢١» كنوز الفاطميين ص١٦٦ ، ويؤيد ذلك ما نقله كاله عن هوبسون

تيقنا محاولة هذه الصنعة فيها . اما الصلة بين هذه الصنعة في سامرا وفارس لا تزال غامضة ، وغالب الظن ان مـا يخص الاولى اقدم عهداً من الثانية ، ولكن كيف انتقلت هذه الصنعة الى فارس ؟ لم يمط العلماء اللثام عن ذلك بعد ، وتدل المواد التي وصفها البيروني في كتابه الجمـاهر في معرفة الجواهر على تشابه شديد بين خزفي سامرا واوائل هذه الصنعة في فارس «٢٢» . امـا كلس الرصاص القلعي (القصدير) الذي يذكره البيروني بانه داخل في تركيب الطلاء يلزم ان يكون كما بيّن الاخصائي هوبسون بانه بكمية قليلة جداً ، امـا الطلاء نفسه فهو طلاء كاسي . فاذا صح ذلك تكون المواد واحدة . ومما يؤيد تقارب الصنعة بين فارس وسامرا الكتاب الفارسي الذي عثر عليه المستشرق ريتر عـام ١٩٣٥ لابي القاسم عبدالله ابي علي محمد بن ابي طاهر القاشاني صانع محراب قم وفرانين الشهيرين ، احدهما في برلين والآخر في فيلادلفيا ، وهو اخو يوسف بن علي صانع محراب الامـام يحيي الموجود حالياً في لنينغراد «٢٣» . والمواد المستعملة في هذا الخزف اكثر ألواناً من قبله ، وقد عاش القاشاني واخوه في القرن الثامن للهجرة او الرابع عشر للميلاد ، كما انتقلت هذه الصنعة الى سوريا فمصر فالمغرب الى ان ولجت الاندلس ، وبلغت الذروة في العهد الفاطمي .

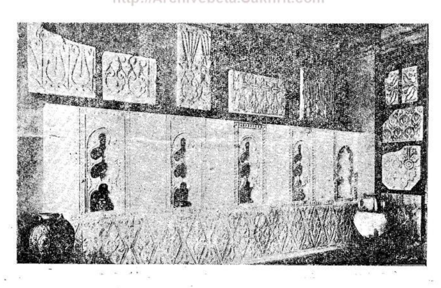
من كل ما ذكرنا نستدل ان صنع الخزف الاسلامي بدأ في سامرا ، وكانت المواد التي تستعمل هي المذكورة في التحليل الكيميائي والمجهري ، وقد انتقلت فيما بعد كما بينا الى اطراف العالم الاسلامي . وعلى كل لا يمكننا البت في تطور هذه الصنعة الا بعد ان تتم دار الآثار العربية في مصر دراستهـا عن الخزف الاسلامي في الممالك والعصور المختلفة ، والامل من نشر هـذه التجارب المخبرية والمقارنات والمقايسات تأدية خدمة للدار في سبيل متابعة ابحاثها .



حلب **محمد يحيى الهاشمي**

«٢٢» استدللت على ذلك لدى مقارنة الفحص المخبري بما ذكره رودر في مقالة عن فن الخزف الفارسي « م ٩ » ، راجع ايضاً الجماهر ص ٢٦٦ ، وكتابه المنـابع الاسلامية عن الخزف الصيني ص ١٧ الذي يقول فيه ان للوثائق العربية كبرى في معرفة تاريخ الخزف الصيني لان المصادر الصينية نفسها تتشدد بالكتمان حرصاً على ضياع الصنعة .

«٢٣» روذر المصدر المتقدم ، ٣ .



رسوم محفورة على حائط بيت في « سامراء » من العهد العباسي ويرجع تاريخه الى القرن التاسع





قصة

كان ذلك(*) عام ١٩٢٩ في يوم من ايام الربيع السريع الخطى في بغداد وكان البغداديون، شأنهم كل يوم في مثل هذا الفصل، من كل عـام، يتنزهون في حدائق العاصمة وروضاتهـا، وبساتينهـا وجنّاتها. وكان الوقت طـَفَل العشي، وقد طفق المتنزهون يعودون الى بيوتهم ومنازلهم جماعات وافراداً في بطء، التكلف ظاهر فيه. فقد كانوا يعودون على مهلتهم، كأنما هم كارهون هذه العودة، مشتهون المضي في استمتاعهم بربيعهم العجلان في نهم وتلذذ. وكان في جماعة من هذه الجماعات شاب مـا تقع عليه الانظار حتى تستقر، فاذا هو واجهها بنظره ارتدت تبحث لها عن مستقر لا يردها، فتسقط هنا وهنـا، على اشخاص واشياء، تحمل اصحاب هذه الانظار على الانصراف الى احـاديثهم المتنوعة، سخيفة وشيّقة، رصينة وماجنة.

وعبرت الجماعة الجسر وانتهت الى شارع الرشيد، فاستأذن «مُصعب» رفاقه وراح منفرداً يغذ خطاه نحو «السنك» حتى اذا نَصَف الشارع او تجاوزه قليلاً وقف امام بيت صغير متواضع، وقرع الجرس المشدود الى عضادة الباب الخارجي بحبل من شريط دقيق، ففتح له في الحال، ودخل على عادته دون ان ينتظر، فهو انما كان يدخل على ناس من ذوي رحمه ما يتقضون منه ولا يتأبون عليه. وكان ان لقي في المنزل سيدة زائرة هي ايضاً ممن تصله بهم صلة نسب تمتنها صداقة قديمة بين عشيرتهـا وعشيرته. وكانت تصحب السيدة ابنة لها، طفلة قد لا تتجاوز العاشرة من عمرها. سلّم «مُصعب» ثم جلس فسأل «لمياء» عن مدرستها وسير دروسها واطال، وسأل والدتهـا عن اخوة لمياء. وشكا اليها قلة ترددهم اليه، ثم نهض يحاول الانصراف كأنما يريد ان يقول انه ليس في حاجة الى سماع جواب.

على انه حدق الى «لمياء» اكثر مما كان يظن انه فاعل، ثم ودعها آخر من ودع، وانصرف وهو يحس في قرارة نفسه حساً لا يعرف ما هو، ويسمع بين اضلاعه صوتـاً خافتاً لعاطفة ما يستبين اية عاطفة هي. وما ان وصل الى منزله حتى انصرف الى اتمام مقال في السياسة العراقية كان قـد بدأه من قبل، وحالت امور دون فراغه منه، وقد زينت له نفسه غير مرة ان يطرح قلمه ويرجيء اتمـام المقال الى وقت آخر، وهمّ ولكنه لم يفعل. وأبى الا ان يذهب لالقاء خطابه في النادي وهو فارغ البال من المقـال. وعند الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين تمامـاً رد وراءه باب مكتبه ومشى نحو باب المنزل الخارجي، فتخطاه الى الشارع وراح يضرب الارض بخطاه الموزونة المتسقة كأنما هي خطوات جندي تمرس بالجندية في ظل علم ما خفق الا وخفقت في طياته معاني البطولة والمجد والنصر واخيلة الكرامة والشرف والحرية. وقبل ان تدق الساعة الثامنة بثوان معدودة كان يدخل الى قاعة النادي الكبرى حيث قام في الصدر منها منبر كثيراً ما كان يستقبله طرباً مزهواً، فتعالى الهتاف له ودوّى التصفيق في النادي كله، ما انقطع حتى استوى على المنبر بقامته المستقيمة وادار انظاره النافذة في جمهور الحضور بتؤدة وأناة قبل ان يبدأ كلامه، حتى اذا مـا سكنت عاصفة الهتاف والتصفيق، وسيطر على القاعة السكون الذي كان كأنما يُنشده ليسمع الناس ما يريد، استهل خطابه بهذه الكلمة التي ألهبت من جديد نفوس الحضور وبعثت في القاعة عاصفة جديدة من التصفيق والهتاف، قال:

«من كان منكم لا يؤمن بنسبه العربي، فليغادر القاعة او فليضع في اذنيه وقراً».

«ومن كان قد آمن به ولم يؤمن بالامجاد التي خلفها ابناء هذا النسب، فالصفحات التي نضعها بين يديه الساعة عن هذه الامجـاد، ستحمله اذا كان ذا عقل وانصاف على ان يؤمن. فليستقر».

«ومن كان منكم لا يؤمن بمستقبل هذه الامة، او كان قد آمن ثم كفر، فليصغ وليشهد، فنحن موقنون، بثباتنا وعنادنا في الحق ان سنرده الى الايمان اذا كان عربياً».

ولم يغادر القاعة احد. ولا جعل احد في اذنيه وقراً.

ثم مضى الخطيب في كلامه بصوته النحاسي الجهير، ولهجته القوية الفصيحة العذبة، وكأنما تفتحت عليه ابواب السماء، وانزل الله سبحانه وتعالى على لسانه آيات البلاغة والحق. فكان المستمعون لشدة ما يغمرهم من تأثيره السحري يصغون حتى يكاد يخيل الى الواحد منهم كأنمـا هو يسمع انفاس جاره تتردد في صدره، او يسمع لدمه فورة تنزى في عروقه، يقطع هذا بين الفترة والفترة

(*) راجع الجزء الخامس – السنة الثالثة – ص٣٧ من «الاديب».

انفجار من التصفيق وهتاف الشباب ، وما زال هكذا والمستمعون تنفتح ابصارهم وبصائرهم ، وتسمو نفوسهم وعقولهم ، وتشتد عزائمهم واعصابهم حتى اذا استيقن انه انتهى بهم الى الذروة التي يريد فاجأهم بطلب التبرع لمشروع قومي عريض، كان يشغل العرب يومهم ذاك في العراق وغير العراق . وقبل ان ينفرط عقد المجتمعين اندفعوا يتزاحمون بالجنوب وبالمناكب ليدفعوا الى امين صندوق النادي ما تجود به نفوسهم من المال ، فكان مجموع ما دفع تلك الليلة يقرب من سبعة آلاف دينار . اما هو فقد غادر المنبر كما كان قد وطئه بين الهتاف والتصفيق، ومضى الى منزله مسرعاً وقد طغى شعوره بالفخر ببني قومه ، وبالغبطة الهادئة تغمر نفسه وتتغلغل الى قرارة ضميره على كل شعور آخر عنده ، حتى انه بات ليلته تلك ولم يسمع للصوت الخافت بين ضلوعه همساً ، واستيقظ في صباحه لا يشغل نفسه الا المشروع الذي هز من اجله في النادي نفوس الناس هزاً .

وصدرت صحف الصباح وفي الصدر منها نبأوه وشيء من خطابه . وكان النبأ قد تنوقل وخاضت فيه اندية وهيآت ومجالس قبل ذلك ، فشغلت دوائر الاستخبارات في العاصمة للمرة الثلاثين او الخمسين او السبعين او المائة بتقليب صفحات (مجموعته) لديها ومراجعة ما فيها من تقارير فيه وآراء .

وكان المعروف المتناقل عن « مصعب » بحق او بباطل انه قومي متطرف صلب ما ينثني وما يلين وما يعوج وما يساوم، وما يتعمد الظهور ولا يأبه له . وانه يعمل في اخلاص وايمان كل ما يعمله ، ويقول في صدق وصراحة وجرأة كل ما يقوله ، وانه ما يقيم وزناً للجاه الزائف يستمد من سيطرة الغريب المتسلط ، ولا يعبأ بالمال يبذل لاغرائه واستئجار قلمه ولسانه ، فهو من نفسه وعقيدته وضميره وهدى ربه في معتصم يرفعه فوق هذا كله، ويعصمه من الانزلاق والهوى . وكان من المعروف المتناقل عنه ، انه ليس غنياً ولكنه مستغن . وانه يستعين على فتنة الحياة وفتونها بجرعة النفس المؤمنة المطمئنة ، وعلى شدائد الحياة وتجريبها بانفة النفس الجبارة الكريمة المترفعة ، ترضى بالحرمان يبتليها به في سبيل العفة فتعف . ويروضها على الصبر الجميل في شدة المحنة وصعقة الخطب فتصبر .

هذا بعض ما كان يتناقله الناس عن « مصعب » ومن الحق ان نعترف انه كان كذلك . وانه كانت له آراء في النهضة القومية تبدو غريبة حتى للقسم الاكبر من الذين عرف عنهم انهم قوميون يعملون لقضية العرب . فالقومية مثلاً في رأيه هي مجموعة فضائل ومزايا واخلاق ، فانت قومي خليق بان يوثق بك ويركن اليك ، وتحترم ، بنسبة ما تكون قد اصبت من هذه الاخلاق والمزايا والفضائل . فالقومي المخلص المؤمن حقاً لا يمكن ان يكون كذاباً ولا محتالاً ولا منافقاً ولا دجالاً ولا مرتكباً ولا مستهتراً ولا ذليلاً ولا جباناً . فاذا هو لزمته واحدة من هذه ، فهو قومي ناقص او انه ليس بالقومي الذي يوثق به ويركن اليه ويستحق الاحترام.

وكان يعلل ذلك بقوله : ان العرب اليوم اشد امم الارض حاجة الى الاستمساك بالقومية الحق، بالمعنى الذي يرمي اليه القوميون الحقيقيون في كل امة . وهذا المعنى عندنا هو ان هذه الامة العربية امة مجيدة عظيمة ، خليقة بان تكون وحدة من وحدات الوجود المنتقاة التي تستحق وتستطيع ان تجاري بقية الوحدات في سبيل انشاء الوحدة الانسانية الكبرى . وانها رغم ما طرأ عليها من ضعف وانحطاط في التكوين السياسي والاقتصادي ، فهي ذات قوة معنوية باطنة مستوحاة من تراثها الضخم الصالح ، مستقاة من مقتضيات الحياة المثلى خلال القرون والاجيال، وهي لذلك مستطيعة الانبعاث على ايدي زعمائها وقادتها القوميين . ومن هنا يتحتم ان القوميين الحقيقيين الذين يتقرر في نفوسهم هذا المعنى لا يمكن ان يكونوا كذابين ومحتالين وجبناء... فلقد مر على العرب عصور متطاولة وكأنما هم من امم الدنيا « كالباريا » من هندوس الهند ، أي انهم محتقرون منبوذون، يكاد الهوان يلصق جباههم بالتراب، ويطوي نفوسهم في التراب وهم بعد يدرجون على التراب . فحينما يعصف في رأس فريق منهم عاصف الشرف البعيد الاصول ، فتثور نفوسهم من شدة ما لقيه قومهم من عذاب الهوان ، فمعنى ذلك ان هذا الفريق يؤمن بتراث امته ويريد ان يبعث هذا التراث وان يصفي هذه الامة ويعيد اليها القدرة على التدليل ، في وجه امم الدنيا كافة على ان ابناءها اهل اخلاق نظيفة عامية متينة ، واهل كرامة وجد وعظمة وتضحية ، من حقهم الطموح الى السيادة الحق ، والى الحرية والعدل . والى القوة والجمال . ومن حقهم ان يثوروا على البشاعة في مختلف مظاهرها وشتى اشكالها وصورها — وهل هناك ابشع من العبودية ، ومن الذل ، ومن النفاق والرياء والتدجيل والجبن — ولكي يقوم هذا الفريق بمثل هذه الرسالة ينبغي له ان يكون هو نفسه في الذروة من هذه الاخلاق ، واين الكذاب المحتال الدجال المرتكب المنافق الجبان من هذه الذروة؟! ان مخلوقاً كهذا لا يقدر على ذلك ولا هو يعنيه . حتى وما

تعنيه مصلحة قومه الا بقدر ما تتفق مع مصلحة نفسه . ولا يمكن ان تسمو نفس كهذه الى المثل العليا ، مثل النفس القومية الخالصة، تترفع عن حطام الدنيا ومطالب الجسد الدنيـا ، فهو اذن ، ليس قومياً وان بدا للناس انه قومي .

وكان « مصعب » يغلو في تشدده فيضيف الى ذلك قوله : ان القومي العربي الاصيل لايكون فاسقاً ولا سكيراً ولا مقامراً – في مثل هذا الدور من حياة العرب على الاقل – فان كان كذلك بطل ان يكون قومياً . ثم هو يمضي في فلسفته الاخلاقية ، وان شئت ، في تعزيز مدرسته الاخلاقية القومية، فيتناول حياة الافراد في امته بفروعها المختلفة حتى يقرر : ان القومي العربي لا يتحبب بنية دنيئة الى عربية متزوجة ، ولا هو يتودد بمثل هذه النية ، الى عربية ما ينوي التزوج منها ، فيحاول ان يغويها او يخدعها . واذا شاء الله ان يحب فأحب صادقاً مخلصاً في نطاق هذه الدائرة، فشرط النبل والسمو ، شرط العروبة الاصيلة المتجبرة المهذبة، ان لايبوح بحبه حتى ولو قتله السل من هذا الحب .

كان « مصعب » يوم لقي « لمياء » وامهـا عند ناس من ذوي رحمه ، في منزل صغير متواضع ، قـائم في « السنك » شاباً في نحو الثلاثين من عمره ، طويلًا معتدل الطول اسمر شديد السمرة . في خلقه من القوة ما لا يقل عما في خُلقه وفي نفسه منها . وكان من بين المثقفين في العراق، والمشتغلين لقضية العرب عامة ، من اصحهم ايماناً واعزهم نفساً واطهرهم كفاً واصلبهم عوداً واشدهم في الحق عناداً واعلاهم في هذه الحياة مثلًا . وكانت الاقطار العربية في ذلك الحين بعد ثورة العراق وثورة مصر وثورة الشام، وثورة المغرب في سبيل الشرف والحرية والاستقلال ، تغلي كلها تقريباً غلياناً يلفت اعناق الامم ويفزع اهل الاستعمار . وكان هذا الغليان حبيباً الى قلب « مصعب » مدعاة الى طغيان الزهو القومي على نفسه ، وكان صارفاً له – وهو كما عرفت – عن لذات هذه الحياة الدنيا وملاذها . على انه كان من ناحية اخرى ينعم بلذة روحية قوية مسيطرة ، منشؤها هذا الايمان القوي بانه يقوم بواجبه نحو الحق ونحو الخير ونحو الحرية والعدل والشرف ، وبكلمة واحدة ، نحو القومية كما كان يصفها هو كرجل عربي قومي ثم كأنسان . وكان شعوره بهذا كله يتدافع في نفسه ، في قوة وعنف يمكنان ثقته بنفسه ، واحترامه لهذه النفس ، فكان لهذه الامور مجتمعة ، شأن أي شأن فيما لقيه من ألوان العذاب . . . وكان رغم ما يتصف به من قوة وصلابة وعنف ، او لما يتصف به من هذه الصفات رقيق القلب ، رهيف الحس . وكان دقيق الشعور بمواضع الفتنة والسحر من مواضع الجمال . وكان للسحر والفتنة في جمال « لمياء » رغم صغر سنهـا مواضع ما يدري أكانت هي السبب فيما سمعه من الصوت الخافت بين اضلاعه يوم لقيها مع امها في احد منازل « السنك » وهي مـا تتجاوز الثانية عشرة من عمرها ! وقد قوي يومذاك دون ان يشعر على التصامم عن ذلك الصوت لما تولاه من حيرة وشك في شأنه ، ولخطر ما كان فيه من امر قومه ، فخمد الصوت الخافت ولكنه لم يتلاش . ومر حين من الدهر لا يرى مصعب « لمياء » ولا تراه . ثم قالوا ان « الطفلة » قد تزوجت .

اجل لقد تزوجت « لمياء » . وأية غرابة في ان تتزوج ! ليس في ذلك كبير امر . ولكن في صفحة الغيب امراً من أين لمصعب وغير مصعب فهم سره ومداه . لقد وضع القدر « لمياء » متزوجة في طريق هذا الرجل «المحافظ» الغريب الآراء، فاذا الصوت الخافت يرتفع ، ثم يمضي في الارتفاع صاخباً ملحـاً . ثم يضج بين ضلوعه ضجيجاً عنيفاً مدوياً يكاد يغلبه على امره ، فيمزق هذه الضلوع ويحطمها تحطيماً . تحطيماً لا هوادة فيه ولا عقل ولا رحمة .

– يارب «مصعب» و« لمياء » أعن «مصعب» على هذا البلاء–

ذلك وموحية الصوت لا تعرف من هذا كله شيئاً . ولعلهـا لن تعرف منه من شيء . فان « مصعب » صاحب الآراء المعروفة في القومية العربية ، وصاحب النظريات المعروفة في الاخلاق القومية ينبغي له ان يعمل بآرائه ، وان يطبق نظرياته على نفسه . وهو يوم احب « لمياء » ذلك الحب الممعن في روحه وفي عقله ، وفي دمه وفي عظمه ، وفي مجمل كيانه المادي والمعنوي والفكري ، احبها وهي متزوجة ، فماذا عساه يفعل !

ماذا عساه يفعل ؟! انه ما يفعل شيئاً . انه يسكت ويكتم ويصبر . . ويستعين الله وحده على هذا البلاء . ويستنجد بعنفوانه وعزة نفسه وصلابة ارادته وشرف خلقه ، وقد فعل . فاعانه الله، وحقق في النجدة رجاه .

قلت ان لمياء تزوجت ، والاصح ان اقول « انهم » زوجوها وهي بعد دون الرابعة عشرة وصبية مثلها في تهذيبهـا وجميل حيائها ، وابنة بيت كريم مثل بيت ابيها ، من سوء الادب ان تسأل ، ومن المهانة ان تُسأل ، عن اي شيء يتعلق بمستقبلهـا مع شريك حياتها ، وعنوان فخرها وسعادتها ، والركن الاقوى لبيتها ورأس العائلة التي ستنشئها ومستقر الصلاح والخير والقوة والكرامة الذي يستمد منه الكرامة والقوة والخير والصلاح مجموع امتهـا .

اجل من سوء الادب ان تسأل هي ، ومن المهانه ان يسألها اهلها . أليس فلان اباها . وفلان أليس جدها . أليست فلانة امها . وفلانة أليست جدتها . وكيف تزوج ابوها وجدها ؟! واما وجدتهـا كيف تزوجتا !! ثم أليس هناك بيت ينبغي ان لا تمتد الى ثروته يد غريبة عن اهلها ؟! وفي البيتين اهل لها .

وهكذا زوجوا « الطفلة » من شاب لا تحبه ولا تحب سواه . وهو لا يحبها ولكنه يحب سواها . وامست « لمياء » ذات بعل ، هو الآخر ابن بيت كريم . وهو ذو تهذيب وحياء ... واثمر هذا « التزويج » سفرة الى الهند مـا تزال مستمرة . وعودة الى البيت الوالدي ، ما تزال هي كذلك مستمرة . هو في الهند يعمل باسم مستعار في متاجر ابناء زينل المشهورة . وهي في بيت والديها ، وكأنما قد تعطرت ، تتحول الى زهرة في آنية .

وتمر سنوات ، و « مصعب » الذي ردته « لميـاء » دون ان تعلم ، الى الايمان بعد الكفر ، الايمان بالحب الذي كان قد كفر به زماناً غير قصير ، يحبها دون ان تعلم ايضاً ، حب مؤمن موحد متصوف ، مغرق في هذا كله ، اغراقاً يحسه ويفهمه من يبتلي بمثل هذا الحب ويكون مثل « مصعب » ، ولا يستطيع ان يحسن وصفه احد . حباً لو انه رضي ان يبوح به ويذل لسلطانه فيعرفه الناس ، لمـا وجد الناس الى الابد ، وصفاً للمثل الاعلى في الحب العنيف الطاهر المكتوم ، مثل قولهم « حب مصعب » . واحسب ان حباً مثل هذا ما كان ليخفى على « لميـاء » لولا ما كان يعصمه من رصانة ومهابة ، وتأب وجلال .

ولولا ما كان يسهر عليه من وداعة وعطف ، وحنان ، وحلاوة عذاب . ولعل لطف الله في قضائه هذا ورضاه ، كان العامل الاول القوي في صبر « مصعب » الجميل على هذه المحنة وهذا القضاء . ولعل التفاوت في السن بين « مصعب » و « لمياء » وقد كان تفاوتاً غير قليل ، كان العامل الآخر القوي في هذا الصبر الجميل القوي . ذلك ان ضجيج « الصوت الخافت » الذي غدا عنيفـاً مدوياً في ضلوع « مصعب » حتى ليكاد يحطم هذه الضلوع تحطيماً ، كان يقابله صوت آخر لا يقل عنه سلطاناً ، صوت على نعومته ووداعته وحلاوته هو في النفس البشرية ابعد ايغالاً ، واعرق انجاء ، وتأثيراً . صوت كأنما هو صوت الابوة الرفيق الرؤوف الرحيم العريق ، فيهدأ الضجيج ، وتسكن الثـائرة ، وتسمو هذه النفس التي صفاها الالم الممعن ، وحباها الله فيما حبا من نفوس فريق من عباده الصالحين المصلحين بنفحة من عنده ، فيتغلب الصبر الجميل ويستقيم الاتزان ، ويسود شرع النبل والسمو ، وشرع الوفـاء الرفيع للصداقة وللنسب ، وشرع العروبة الاصيلة المتجبرة المهـذبة ، فلا يبوح بحبه ويوطد النفس على ان لا يبوح به ولو قتله السل من هذا الحب .

ومع هذا كله ، كانت تطغى على نفس « مصعب » بين الحين والحين موجـات من نار مؤرّجة ، تقذف به الى هوة من الذهول يحاول فيها ان يقول شيئاً فيهم ، ويتداركه الله فلا يفعل . وفي حالة من هذه الحالات العصبية الموجعة ، اجتمع « مصعب » في صباح يوم من الايام الى « لمياء » في دار اهلها ، وكان بينهما حيث يجلسان كتاب من كتب الادب ، اهداه للكاتب العربي البليغ الموفق صاحب الرسالة ، فتكلما عليه قليلاً وكانت « لمياء » ما تزال طرية العود في الادب العربي على ميل في نفسها الى هذا الادب ، وكانت تجرب على شيء فيها من عناد تصحبه سذاجة في النفس ، ان تستفيد من آراء « مصعب » وخبرته ، فيبذل لها هذه الفائدة مغتبطاً ساكن النفس . وما ان انقطع بهما القول في الادب حتى انتقلا الى التغني بجمال النهر ونخيله ثم سكتا . وفي خلال هذه اللحظة من السكوت ، اوحى الى « مصعب » شيطان الغرور او ملاك السذاجة ، وربما كلاهمـا معاً ان يسأل « لمياء » سؤالاً . واحسب انني ما اعدو الصواب اذا انا اعتقدت ان « مصعب » قبل ان يفكر في هذا السؤال دارت في رأسه افكار كثيرة حول نفسه : انه اصبح رجلاً مرموق المكانة في العراق ، بل وفي غيره ايضاً من الاقطار العربية ، وهو عدا انه رجل مثقف ، فانه راجح العقل موفور الذكاء ذو اخلاق متينة . وهو وطني مخلص جريء ، عنيد بالحق ، ناصع الصحيفة . انه ليس بذي مال ، نعم ، ولكنه لم ينس ان يعلل ذلك تعليلاً فيه له محمدة وفخر : لقد كان له مال ليس بقليل ، انفقه في غير ضجة ولا منّ ، في سبل ما يندى له منهـا جبين ، انفقه في بعث الكرامة والخير والحرية والحق . وكسب بطرق مشروعة شريفة ، بقلمه البليغ مالاً ليس بقليل ، انفقه في سبل ما يندى له منها جبين ، انفقه في تعزيز الحرية والكرامة ونشر رسالة الخير والحق . وحاول استمالته حكام وامراء ، وملوك بمال ليس بقليل فانف وتأبى ، رعيـاً لقدر الحرية والكرامة وحرمة الخير والحق . دارت هذه الافكار برأس مصعب في سرعة الفكر ، ثم سأل سؤاله محاولاً ان يصبغه بصبغة المداعبة والمزاح المقبول . وانه لمن السخف حقاً ان يسأل رجل امرأة مثل هذا السؤال وهي لا تعلم انه يحبها ، وقد تكون لا تحبه . على ان لافذاذ الرجال في الواقع ، سخافات بعض الاحايين ، دونها سخافة العاديين والمهازيل من الرجال ، ولكن هؤلاء تذهب سخافاتهم

ذهاب اوراق الخريف في مهاب الرياح ، يمر بهـا الناس دون ما اكتراث ولا مبالاة . اما « مصعب » وامثال « مصعب » فيلقون سراعـاً جزاء ما قد يبدر منهم من سخافة ، في قسوة وشماتة وفي عنف وامتعاض . وكان سؤال « مصعب » « للمياء » : لو لم تكوني متزوجة أكنت ترضين ان اخطبك الى ابيك فقالت « لأ » .

لأ . وكما انني لا اضع في كتابتي هذه فاصلًا بين هذا السؤال وهذا الجواب هكذا لم يكن أي فاصل من زمن على الاطلاق ، بين سؤال « مصعب » وجواب « لميـاء » حتى ليخيل اليك ان السؤال والجواب عبـارة واحدة ينبغي ان تكتب هكذا : لو لم تكوني متزوجة أكنت ترضين ان اخطبك الى ابيك لا .

وهذا الجد الذي بدا في لهجتها قد لوّن الامر بلون لم يكن ليخطر في باله .

لأ . يا للامل الضائع ، والنصل القاطع . يا للقصور الشامخة الباذخة المزخرفة تنهار من نفخة . لقد كان وقع هذه الـ « لأ » على « مصعب » هائلًا ممضاً دامياً ، الا انه تجلد . واستطاع .

أتدري ماذا فعل ؟! لقد التمع لونه . واحس قلبه مشى بين ضلوعه . وحقرت هذه الدنيا في عينيه وتلاشت في لحظة ، خمس وعشرون سنة من عمره ، مرت وهو يحسبها سفراً ضخماً مليئـاً بالجلائل والمكرمات ، فاذا بهذه الامرأة تجلد بها الارض فتحطمها في ثانية كما تحطم آنية من زجاج . ثم هي لا تشعر انها عملت شيئاً . ومن اين لها ان تشعر انها عملت شيئاً وهي قد حطمت او كادت صاحب هذه الخمس والعشرين سنة نفسه ، ولم تشعر انها عملت اي شيء ! ولكن « مصعب » ملك اعنة نفسه بشكل عجيب فشكر « للمياء » صراحتها ، على حد تعبيره ، وبقي لحظـة جامداً كأنه صنم يحدق في ما لا يعرف ماذا كأنه ممسوس . ثم تناول من بينه وبينها في تؤدة عنيفة ، الكتاب الادبي وسألها ما يدري كيف : ما قولك في قراءة فصل من هذا الكتاب ؟ أأقرأ وتسمعين ، ام تقرأين واسمع ؟ قالت : بل اسمع .

وقرأ « مصعب » فعلا من حيث ما اتفق صفحة او صفحتين ثم اطبق الكتاب ، وقام متئداً فودع من غير مصافحة ، وانصرف ما يدري الى اين يذهب .

واحس الحاح الحاجة عليه الى الترويح عن نفسه ، ففتق له هذا الشعور امراً : لماذا لا تكون لاؤها « لاء » المرأة ، وليست « لاء » الناس ؟ ؟ ! بلى ، بلى ، انهـا « لاء » المرأة . ولكن لا ، فهي — وان تكن متزوجة منذ سنوات — فتاة غريرة ، ما تدرك معنى لهذه الاضداد .

بلى ، انها لتدرك . انها على كل حال امرأة ، تدرك بالغريزة ما لا يدرك الا بالاختبار . وهكذا جاءه الشك بالعذاب ضعفين من حيث توهم انه يجيئه بالنجاة .

في اليوم الثاني لهذه الـ « لا » التاريخية ، فاجأ « مصعب » في داره صديق له ، وسمعه يردد لنفسه وهو يروح ويجيء في غرفته هذه الكلمات : ترى ما لاؤها هذه ، « الاء » المرأة هي ام « لاء » الناس » ؟ ! وكان ذلك بعد منتصف الليل بقليل . ودار بينه وبين صديقه حديث ذو شجون .

وفي الليلة التي تلت ليلتهما تلك ، قص « مصعب » بالتفصيل على صديقه « قصة لاء ، وفتاة لاء هذه » كما سماها صديقه . وسمعها ابن الكاظمية صاحبنا العلوي العاشق الشهم ، فنقلها الى هذا القلم . والئن كنت نسيت منها كلمة او امراً فانني لن انسى الدهر وصف مصعب لهذه الـ « لاء » واثرها في نفسه :

« وما تزال هذه الـ « لاء » نصلا مثبتاً في قلبي وفي كبريائي ، يصاحبني الالم منه سواد ليـلي وبياض نهاري . فلا هي تنزعه — ونزعه أليم كوقعه — ولا انا انزل عن كبريائي فاحاول ترضيها رجاء ان تنزعه . والجرح كما تعلم ، قد يتماثل ويتراجع الى البرء اذا انت نزعت منه النصل الذي احدثه ، مهما يكن من شأن الاثر الذي قد يخلفه في مكانه . ولكنه ان يتماثل ولن يبرأ ما دام النصل قائماً في موضعه منه ، موغلًا في مستقره وجنباته . ذلك ان كل حركة او اشارة او نظرة او كلمة او لمعة فكر ، كأنما هي يد تمتد اليه فتهزه هزاً يفجر الدم من موقعه . ويذكر الطعين المتكبر — وهل هو ينسى — بشقوته وجرح كبريائه . فيفورده ، ويشمخ بانفه على الالم بنوعيه ، فلا يرسل انـة ، ولا يسكب دمعة ، ولا يطلب رحمة . فيثأر الالم لنفسه بان يمعن فيـه بعنفه ويسترسل في النكاية به وهكذا ... »

« يا مصعب » بن . . ما املك لك من شيء فيـه نفعك . ما املك لك الا ان اقول : اللهم اجعل لاءها « لاء » المرأة ، ولا تجعلها « لاء » الناس .

بغداد   « مجهول »

استدراك

اقرأ في العمود الثاني من صفحة ٣٦ هكذا : س٥ ولا مستهتراً ولا ظالمًا ولا ذليلاً . س٢٧ نظيفة عالية .

بقلم الدكتور

حسين سري الدبه

اخصائي في امراض الاطفال

لبنان المهد الصحي للاقطار العربية

ومبرأته في نمو الاطفال

من الاقوال(*) المأثورة انه سوف يأتي يوم لا تفاخر فيه الامم بقوة اساطيلها ولا بكثرة جيوشها بل بوفرة عدد الاطفال الاصحاء عندها.

والاطفال هم عماد الامة وعلى متانة صحتهم تشاد مدنيتها وتزدهر حضارتها ويبرز تفوقها ويطرد تقدمها، وهم نسيج من المواد الحيوية المستقاة من طبيعة بلادهم وعلى جودة هذه المواد واعتدال تركيبها تتوقف طيبة هذا النسيج ومتانته، لان انتقاء المواد الاولية من اجود واشهر مصادرها هو الشرط الاساسي للتفوق في جميع الصناعات. وكل بلد من بلاد الله حبته الطبيعة احدى هباتها الممتازة وجعلتها من مصادره المشهورة التي ترتكز عليها شهرته العالمية ثم تركت للانسان مجالا واسعاً للانتفاع بهذه المواهب على قدر طموحه واجتهاده.

فهذه بلاد يسيل على جوانبها النفط فيتبلور ذهباً وهاجاً يجذب اليها انظار الطامحين ويؤمها اصحاب « الرساميل » فتأهل بالسكان بعد ان تكون منذ الازل قاعاً صفصفاً وتتدفق منها الثروات وينعم اهلها بحلاوة الحياة بعد الشقاء والعناء. وتلك اخرى يرقد في جوفها الحديد او تزخر بالمعادن الثمينة التي تبقى كامنة في داخلها الى ان يتاح لها يد الاستخراج فتجري المصانع وتملأ الكون من آلات النقل والتجارة والصناعة وتجاب الى اصحابها الثروات وتؤمن للعاملين رخاء العيش ونعيم الحياة. وهكذا الى ما هنالك من هبات زراعية وصناعية وتجارية وغذائية موزعة بحكمة عظيمة على سائر الاقطار في هذا المعمور الواسع الارجاء.

اما لبنان تلك المنارة العالية القائمة بين الصحارى والانجاد والبقاع الحارة فهو ليس بالبقعة السحرية التي تتنازعها الارض والسماء وتتجاذبها الملائكة والحسان وتتغنى بجمال رياضها الانبياء والشعراء فحسب ولكنه المهد الصحي الطبيعي الذي حيك من اغصان ارزه الخالد وانيط بالياف اشجاره الباسقة فتأرجح فوق وديانه وسهوله متموجاً مع النسيم العليل العابق بعبير ازاهيره ورياحينه تهزه الهة الصحة بيمينها ملوحة بيسارها لاطفال الاقطار العربية داعية اياهم الى الفردوس الارضي الذي هو بمتناول ايديهم.

وكل ما تمتع به لبنان من عظمة وشهرة في التاريخ ان كان من وجهة الاسطورة او من وجهة الواقع فيعود بالدرجة الاولى الى حسن مناخه وطيب هوائه وجودة مواهبه الطبيعية وما السحر الذي شع من عيني عشتروت تحت سماء الغينه ولا الشباب الذي تدفق من وجه ادونيس على جداول افقا ولا الانفة التي برزت من المردة ولا الجرأة التي ميزت بني معروف ولا النبوغ الذي تجلى ويتجلى في ابنائه اينما ضربوا من بقاع الارض الا وتستقي من العناصر الاولى التي بنيت منها اجسامهم وتغذت بها دماؤهم وتنشقتها رئاتهم من فيض هبات الطبيعة على لبنانهم الاشم.

والاطفال هم وديعة الخالق بين ايدي والديهم والامانة تقضي بحفظ الوديعة سالمة مقدسة. وعلى ذلك نرى ان الطيور والحيوانات العجماء تضع صغارها في اقاليم خاصة توافق صحتها وتلائم نموها ثم تعود بها ثانية الى مواطنها الاصلية بعد أن تكون قد استوفت نصيبها من جودة المناخ وطيبة الاقاليم. اما الانسان ذلك المخلوق العاقل فقد ترك لتفكيره وادراكه امر تدبير صغاره واختيار الاقاليم المناسبة لنشأتهم.

وللمناخ تأثيره الاشد على الاجسام الناشئة الصغيرة ذات الانسجة اللدنة التي تتأثر بادق العوامل ويتحور نموها ويتكيف سير قواها باخف المؤثرات التي تشعر لا بها الاجسام البالغة الصلبة. وهذا التأثير لا يقف مفعوله عند سن الطفولة فحسب بل يصبح

(*) القيت في المؤتمر الطبي العربي السادس المنعقد في بيروت في ١١ تموز سنة ١٩٤٤

عرضة للازمان ولمرافقة ذلك المخلوق طيلة ايام حياته وقد يتجسم مع الايام والسنين ويقف حاجزاً في سبيل ما يرجو منه الوطن والانسانية من جهود ومنافع .

من اجل هذا نرى ان الحكومات في العالم تعتبر ان الطفل هو ملك الامة قبل ان يكون ملك والديه ، وعلى عاتقها تلقى مسؤولية صحته لا باعتباره طفلاً تقر به عيون ذويه بل باعتباره رجل الامة العتيد وعماد مستقبلها المعول عليه والذي سيذود عن كيانها وكرامتها بقوة جسمه وقوة دماغه وسعة تفكيره . ولذلك فهي تضعه تحت رقابتها الصحية بكلما لديها من علم وسهر واختصاص منذ ان يتكون في ظلمة الرحم الى ان يشب ويمارس اعماله في حقل البلاد والانسانية . وقد بلغ النشاط من حكومة الولايات المتحدة الاميركية في هذه الناحية من الجهود التي درجت وضعت معها في هذه السنة ورغم مشاغلها العالمية ما سمته «مشروع الست سنوات لرعاية الطفل فبلغت ميزانية العام الواحد فيه ثمانماية وخمسين مليون دولار . ولو كان مناخ تلك البلاد كمناخ لبنان لوفر على الخزينة الاميركية ملايين الدولارات وبكلمة اخرى يمكن ان يقال ان جميع ملايين الولايات المتحدة لا يمكنها ان تغري الطبيعة وتجعلها تمنح اطفال تلك البلاد نفس الميزات الاقليمية الصحية التي تجود بها على الاطفال الذين ينشأون تحت سماء لبنان هبة سائغة دون اجر ولا لقاء . . . والميزات التي نحن بصددها عديدة يقتضي لها درس علمي مشبع بالارقام والشواهد والتجارب والاختبارات شأن كل البحوث العلمية وهذا مما يطول شرحه ويلذ بحثه . وحيث لا يمكن ان يلم به الا الماماً سريعاً في هذه العجالة المحدودة الوقت لذلك سأكتفي بذكر الاهم منها .

فاولها الفصول المحدودة : قلما تجد في انحاء المعمور بلاداً تتخذ فيها فصول السنة حدوداً فاصلة يتميز ضمنها كل فصل بخواص الطبيعة الخادة كما هي الحالة في لبنان . فالفصول واخصها الصيف لا تعتورها تغيرات شاذة ولا مفاجآت تهز كيان الطفل الصحي وتعرضه لشتى الاضطرابات واخصها في الجهاز التنفسي والهضمي التي قد تؤدي الى امراض لا تحمد عواقبها وقد لوحظ في احصاءات شتى لامراض الاطفال ان معظم الامراض الصدرية والعاهات المرضية في الانف واللوزتين وفي الجهاز التنفسي الاعلى وما اليه تعود في اكثر المرات الى مصادر مباشرة كهذه .

ثانيها الشمس : وهي العنصر الجوهري في نمو كل ذي حياة والميزة الفارقة في مناخ لبنان ولما كانت حياة الطفل تعد طور النمو في الانسان لذلك فهي تتطلب كثرة الانتفاع بهذا العنصر الحيوي . ولكن الفائدة المستمدة منها تتفاوت اولا بالنسبة للمدة التي تسطع فيها وثانياً بالنسبة لتفاوت طول الاشعة وراء البنفسجية التي تتضمنها اشعتها وثالثاً بدرجة الانعكاسات الجوية الصادرة عن تلك الاشعة ورابعاً بالنسبة لقوة اختراقها للطبقات الجلدية في اجسام الصغار وخامساً بالنسبة للمساعدات الاقليمية والغذائية التي تؤهل الطفل للانتفاع بها . وجميع هذه الشروط على اتمها في لبنان فهو بين البلدان الاولى في العالم التي تستحم باشعة الشمس في اكثر فصول السنة وخصوصاً في فصلي الربيع والصيف كما تدل تقارير المراصد الجوية الموضعية التي يمكن لمن شاء الاطلاع على ارقامها وقد سجلت آلات مقياس الاشعة وراء البنفسجية ان طول الموجة المولدة للفيتامين والبالغة مئتين وتسعين الى ثلاثمائة وعشرة ميكرون تكون في غرتها تحت سماء لبنان منذ اواسط ايار حتى اوائل ايلول ولهذا القياس تأثيره ايضاً على نسبة المواد الكلسية والفوسفورية في الدم وفي العظم وعلى الجهاز العصبي وبعض الغدد الصماء وغيرها من الدقائق التي يطول بحثها اما الغبار والدخان وكثرة الرطوبة التي تعيق الانعكاسات المذكورة سابقاً فهذا مما لا يتأثر به جو لبنان .

ثالثها الهواء : فهو بالاضافة الى ما يعرفه الجميع من ميزاته في لبنان يساعد الجهاز التنفسي في الاطفال ويقويه . وذلك لوجود درجة بسيطة من الرطوبة المملوءة بخواص اشجاره المطهرة كالصنوبر والبوكاليبتوس وغيرها كما وان عدم ارتفاع الحرارة يساعد على حفظ اطعمة الصغار من الفساد التي تتعرض له في المناطق الحارة والذي يسبب اضطرابات الجهاز الهضمي التي هي اشد الاخطار على حياة الاطفال والسبب الرئيسي في كثرة وفياتهم .

رابعاً الغذاء : الذي مهما تنوعت مصادره تبقى خاضعة لتفاعيل التشميع التي اثبتها العلم واقرتها التجارب وهي توليد الفيتامين بواسطة تسليط الاشعة وراء البنفسجية الذي يقوم اصطناعياً بتسليط اشعة قنديل قوس الكربون او قنديل بخار الزئبق على مصادر الاطعمة الطبيعية كالاثدية والدجاج او على الاطعمة نفسها او على الاوركستيرول او طبيعياً بواسطة تعريض المصادر الطبيعية لاشعة الشمس في الفصول والبلدان الغنية بهذا النوع من الاشعة كما هي الحالة في لبنان .

وخامس الميزات وآخرها : هي السر الذي لم يتوصل العلم الى

الألم

لزهير ميرزا

دمشق

نعستْ مقلتي فقومي الى الضوء ، وأفني شعاعه وضرامهْ
واطمري الموقدَ المحشرجَ في التوّ ، وغنّي لراهبي انغامه
وأزيحي عن الكوى فضلةَ الثوب ، لعلّ الهلال يرمي سهامه
ثم نوبي مناب مُلهمتي الشعرَ ، وصوغي من الخيال حمامه
ودعيها تتيه في روضة القلب ، لتجلو الحانها آلامَه . . .
او لتذكي في بعضها حرقةَ الامس ، فذكرى الشقاء ، كأس مدامه
ابداً ، منبع الخلود من البؤس ، وكأس الآلام تحيي عظامه !.
ومن اليأس ، فاسقني جرعةَ المر ، فدنيا الآلام ، دنيا الوسامه
ما بكى الشاعرُ الليالي الاّ كي تُغذّي دموعه إلهامه !!..
دمعةٌ فُجِّرت من الصخْرِ الصلدِ ، ففيها من الصفاء علامه
كم يديرُ الكؤوسَ ، يترعها الشعرَ نميراً ، وكم يُطفِّف جامه
ثم يسقيه للزمان وفيه رغباتٌ ، لعلّ تُطفي أوامه
سكرَ الدهر سكرة من حميّاه ، فأذكى خاوده للقيامه !!.

معرفته بعد والذي كما يمكن ان يقال فيه ان كثيراً من الحميات والاسقام التي نجهل اسبابها في صغار المرضى رغم الاستعانة بالمختبرات وكل وسائل البحث الحديثة ونعجز عن مقاومتها رغم التجارب والمعالجة الكثيرة نعود وننصح اولياءهم بالذهاب بهم الى جبال لبنان غير مصحوبين بعقاقير ولا بادوية وهنالك بفضل المناخ والمناخ فقط دون تفسير ولا تأويل تطرد الحمى وتزول الاسقام ويعودون الى ذويهم ولون ورد لبنـــان ينعكس على وجوههم النضرة وسحر فتنته يشع من عيونهم البراقة .

والحقيقة الراهنة التي ألمسها بنفسي بين شتى العائلات التي تقطن شواطىء المتوسط في ايام الشتاء هي ان اصطياف الاطفال الاصحاء في ربوع لبنان يزودهم بخزان من الصحة ينفقون منه طيلة ايام الشتاء حيث الواجبات المدرسية ورطوبة الهواء وغيرهـــا تمعن في ارهاق اجسام الاطفال الاخرين الذين حرموا نعمة هذا الاصطياف .

فيا حبذا اليوم التي تتم فيه الوحدة العربية المنشودة ونرى فيه ابناء الاقطار العربية المجاورة يعتبرون لبنان جزءاً من مجموع بلادهم وجباله مصيفاً خاصاً بهم يلقون فيه اطفالهم كما يلقونهم في احضان ام رؤوم حيث ينتجعون الصحة من اصفى مواردها . ثم يتركونهم في مدارسنا التي تكون قد اصبحت اذ ذاك مدارسهم من حيث توحيد الثقافة والتربية القومية والتي فيها يتلقون العـلم الصحيح مقروناً الى الاجسام الصحيحة ويعودون بعد ذلك الى ذويهم رجالا اقوياء في اجسامهم وفي عقولهم وفي تفكيرهم متخذين من جبال لبنان سمواً في مداركهم ومن صخوره صلابة في عقائدهم ومن نسيمه رقة في عواطفهم ومن جوه نقاء في سرائرهم عاقدين خناصر الولاء والتضامن والاخاء والتفاهم بعضهم مع بعض كابناء امة واحدة .

حسين سري الدبه

معجم الالفاظ العامية العربية والدخيلة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في مصر وسوريا والبرازيل

[ط]

طاب له المناخ – فصيحها قأ المكان فلاناً وتقمأه وافقه فأقام به . واقأ المكان فلاناً اعجبه .

الطابة – كرة يلعب بها فصيحها الكجة وهي مولّدة .

الطابو – تركية وهو السند الذي يفيد حق التصرف بالاراضي المملوكة فصيحها التسجيل .

طاتلي – تركية نوع من الحلوى .

طارة – الغربال والمنخل والدف ما يستدير بها من الخشب سريانية فصيحها الاطار .

الطاروق – بمعنى فاصلة ووقف ومنزل وهو ما يغرس من الاشجار ونحوها حول البستان ليمنع الحيوانات من الدخول اليه اصلها (طوراق) تركية فصيحه سياج . والطاروق – رصيف على جانب الطريق للحيوانات من (طورروق) التركية بمعنى تلة ورابية وكومة وفصيحه رصيف .

الطاسة – ما يلبس على الراس عند النساء للزينة يقال ان تركيتها (قوطاس) وضع لها تيمور باشا (السكبة) وهي خرقة تقور للراس كالشبكة .

الطاقة – هي ثقب في الجدار فصيحها كوّة ونافذة . فان كان في السقف مما تسميه العامة (القفّاعة) فهو الجلي وهو الكوة من السطح لا غير . وطاقة القنديل اي الكوة غير النافذة لوضع السراج فيها تسمى المشكاة وهي حبشية بمعنى تحت السراج اي ما يوضع عليه السراج .

الطاولة – لوح من خشب مرفوع على اربع قوائم لوضع اشياء عليه فان كان لتنضيد الامتعة أي جمع بعضها فوق بعض فهو المنضدة . او لتناول الطعام مما تسميه العامة طاولة السفرة فهي الخوان اذا كانت فارغة والمائدة اذا كان عليها طعام . وطاولة الكتابة مكتب . وطاولة اللعب النرد . وطاولة تقطيع اللحم عند الجزار الوَضَم . وطاولة الخيل المعلف . ويقال ان الطاولة ايطالية .

طُبْجي – تركية نسبة الى طوب (المدفع) فمعناها المدفعي أي الواقف على المدفع .

طبست المرأة لولدها لينام – أي ضربته بيدها ضرباً خفيفاً فصيحها ربتته وهدهدته وهدأته .

طبشه – اذا ضربه بالطبشة وهي درة او شيء عريض فصيحها خفقه بالمخفقة والخفقة وقفعه بالمقفعة وهي خشبة تضرب بها الاصابع .

طسلق – تركيتها (طاسلاق) بمعنى عـار وناقص ومن ذلك قول العامة شغله طسلق أي ناقص وغير متقن .

طسمه – قدة من جلد لشحذ الموسى فارسية وتركيتها (طاصمه) بمعنى سير وشراك وفصيحها المشحذ والفعل شحذ .

الطلمبه – ويقال الطرمبه آلة لاستخراج المياه من الاسفل الى الاعلى فصيحها المضخة . واذا كانت للحريق فهي المطفئة . واذا كانت لرش المياه فهي المنضحة . . تركيتها (طلومبه) .

طلمس – الشيء اذا محاه ولم ينعم محوه ليفسد خطه وكأنها منحوتة طاس وطمس بهذا المعنى .

الطاقات والطميقات – ما يلبس على الساق لفاً لوقايتها من البرد او الرطوبة وفصيحها المِساة أي الجورب واستمى الصائد لبس المساة والران وهما رانان للساقين قال ابن واسانه في يتيمة الدهر للثعالبي :

سرقوا جبتي وسبني وسكيني وخفي وجوربيّ وراني

واسمه الافرنجي كاتر Catre .

طنبرت يده اذا ورمت – تحريف انتبرت اذا انتفخت وورمت .

الطنجرة – في القاموس الطنجير بالكسر معرّب وهو القدر من نحاس . والمرجل بمعناها .

طوبز الرجل – اذا اجتمع ورفع قفاه وسفّل رأسه من (طوبوز) التركية بمعنى الرجل القصير الضخم فهو مطوبز . وطوبزه اذا غلبه واستظهر عليه وجعه تحته في الصراع وفصيحها سجد الرجل وأسجد اذا طأطأ رأسه وانحنى . فهو ساجد ومسجد والاسم السجود .

طورسه – فهو مطورس اي عمل مـا دوّخه فصار الدوار في رأسه كأنها من صعقات طورسينا عند انزال الشريعة على موسى .

طوق الكلب – الساجور وهو قلادة توضع في عنق الكلب .

الطيون – نبات اخضر دائماً (اعروان) دبق في الجبـال العالية يونانيته (تأليوم) بمعنى غصن اخضر فحرفت هكذا .

[الظاء في الذال والزاي محرفة]

[ع]

عاب البناء – صار ذا عيب فصيحه هار البناء انصدع ولم يسقط فهو هائر .

عاراس لساني – تقول هذه الكلمة على راس لساني أي قريبة لانطق

بها وذلك اذا نسيها وهو يتذكرها والفصيح هذه الكلمة تستعلي لساني اي تجري عليه كثيراً .

عبق النهار – أي اشتد حره وفيه عبوق اي حر شديد والفصيح غمّ اليوم اشتد حره حتى كاد يأخذ بالنفس واغم بمعناها فهو غام .

العرّاب – كفيل الولد عند تنصيره سريانية فصيحها الكفيل والمرأة عرابة أي كفيلة .

العسراوي – المشتغل بيده اليسرى فصيحه الاعسر .

عص – سريانية بمعنى ضغط .

عفر الكرم – سريانية بمعنى طلب ما تبقى من عنبه بعد قطافه فصيحها ماش الكرم اذا تتبع باقي قطوفه فاخذها .

العفش – الامتعة ونحوها لعلها من العفج وهو المعى الاثنا عشري في المعدة الذي يكثر فيه الفرث فابدلوا الجيم شيناً كما قالوا الحرش في الحرج وهو مجتمع الشجر . او هي من عفش الشيء في الفصيح اذا جمعه .

عفش الرجل – جذبه الى الارض بسرعة وصرعه فصيحها عفس بالسين المهملة فصحفت .

عقدة شعنوطة – فصيحها انشوطة وهي عقدة يسهل انحلالها اذا أخذ باحد طرفيها .

عقدة صليب – الأربة وهي عكس الانشوطة .

عقرب الساعة – مشيرهـا وقيدها وهو ما يشير الى الوقت في الساعة .

عقص – وعقس وهو الضرب بمؤخر العقرب والزنبور أي اللسع وبفم الحية وسام ابرص وهو اللدغ سريانية . وعقص البرغشة فصيحه بعض أي اذاه البعوض .

العقوص – سريانية وهو ابرة الزنبور والنحلة التي يلسعان بها وقيل انها يونانية . وحمة بمعناها .

عمل الجرح – قيح وتقيح اذا تولدت فيه المدة .

عنبر – ويقال عمبر محرف انبار بمعنى الهُري مخزن الحبوب .

عنزوقة – هي ما يربط بحبلين في شجرة ونحوها ويوضع في اسفلها شيء للجلوس عليه عند تحريكها ذهاباً فصيحها الارجوحة (والعامة تقول المرجوحة) والدوداء ويقال فيها الطالعة والنازلة . وللطفل هي المهد .

العُوَينة – ما كان طرياً من الاغصان فصيحها العسلوج .

العوينات – الزجاجات التي توضع على العيون لتقوية البصر فصيحها النظّارات .

عياقة – بمعنى لباقة وصاحبها عايق أي لبق كأنها من التركية (آياق) بمعنى قاعدة وقائمة فتكون بمعنى حسن القوام او من (آيق) التركية بمعنى الصاحي .

عيط عليه – أي زجره وانتهره وفصيحها هيت بفلان صاح به ودعاه فكأنها محرفة عنها وبعض العامة يقولون هيت ايضاً . والعيطة بمعنى الجلبة والضوضاء . واذا قيل عيط له بمعنى ناداه ودعاه ففصيحها نوه به أي دعاه برفع الصوت .

عينة – ما يؤخذ من الشيء لتعريفه للمشتري فصيحها مثال وانموذج والعبرة عند العامة بمعنى العينة فيقولون البيع او المشترى بالعبرة وفصيحها ايضاً (القطب) وهو اخذ الشيء ثم اخذ ما بقي على حسب ذلك الشيء جُزافاً بغير وزن يعتبر فيه بالاول تقول (اخذه قطباً) وقد نهى عنه الشرع الاسلامي واشتريت الشيء صبرة أي بلا وزن ولا كيل .

وتسمي العامة مثل هذا الشتنة ايضاً وهي من لهجات العامة المختلفة بين الناس عندنا .

رحلة

عيسى اسكندر المعلوف

مباراة ابي العلاء

✱

تقيم « الاديب » مباراة تقدم فيها مئتي (٢٠٠) ليرة لبنانية جائزة لأحسن بحث جديد عن ابي العلاء المعري . وقد قدم هذه الجائزة الوجيه نقولا بك ابراهيم سرسق .

١ – الاشتراك في المباراة مباح للجميع .

٢ – يجوز للمشترك ان يتناول في بحثه أي جانب شاء من جوانب ابي العلاء المعري على ان ترى لجنة المباراة فيه طرافة وابتكاراً .

٣ – يجب ان لا يقل البحث عن ثلاث صفحات من الاديب ، وان لا يكون قد نشر قبل الآن .

٤ – تنتهي مدة قبول الابحاث في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ وتعلن النتائج في جزء تشرين الاول من الاديب

٥ – تحكم بين المتبارين لجنة تختارها الاديب وتعلن اسماء اعضائها مع اعلان النتيجة .

٦ – للاديب ان تختار من ابحاث المباراة ما تشاء للنشر على صفحاتها بعد اعلان نتيجة المباراة .

٧ – ترسل الابحاث الى « الاديب » ضمن ظرف يكتب عليه « مباراة ابي العلاء » . ويذيل البحث بتوقيع مستعار ويوضع الاسم المستعار والاسم الحقيقي ضمن ظرف صغير مرفق بالبحث .



يعيش الآن شاعر العراق الكبير الاستاذ معروف الرصافي عيشة موحشة أليمة يقاسي فيها فوق مرض القلب الذي لازمه في الايام الاخيرة مرض الشيخوخة وألم الحرمان وعذاب الحاجة وقسوة العزلة في كوخ استأجره في الاعظمية من ضواحي بغداد لا يزوره احد يتذكر الاعوام التي قضاها مناضلاً بشبابه وبشعره وبيانه في سبيل احياء امة وبعث همم وخلق رجولة واذكاء وطنية فكان في الرعيل الاول من المجـاهدين بلسانه وقلمه في سبيل بعث الوعي الوطني في العراق والجهاد في سبيل الحرية والاستقلال واحد المجددين في الحقل الاجتماعي والمنافحين عن حرية الرأي وقداسة العقيدة . يتذكر كل هذا وما وصل اليه في ايامه الاخيرة من نسيان وتجاهل وعقوق في البلد الذي (ناغاه وناجاه) وانار في جنباته شعاباً كثيرة كانت لولاه مظلمة . . .

يدلف هـذا الشاعر اليوم الى الثمانين من عمره وهي اعوام (موقرة بأثقال الاحساسات المرهفة ولواعج الخواطر المتراكمة وذكريات الادوار العنيفة . وفي عزلة كهذه يقضي ايامه المتبقية الشاعر الذي غنى الاقطار العربية في اعراسها وناح عليها في مآتمها ورافقها في ايام محنتها ورخائها وبؤسها ونعيمهـا) متحملاً في سبيل ذلك الأذى والاضطهاد وكل صنوف الارهاق فلم تهن عزيمته او ينزع سلاحه فكان اجرأ شاعر عربي وقف في وجه كل معتدٍ في سبيل قضية وطنه والبلاد العربية .

رأيته قبل مدة في احدى الاماسي يسير على ضفاف دجلة في الاعظمية وكان منحني الظهر يتوكأ على عكاز من الخشب البالي يرتدي الكوفية والعقال والعباءة والنعل وهي من القدم وكثرة الاستعمال بحيث لا يكاد يظهر لونها فلم اعرفه بادئ الامر وانمـا تخيلته رجلاً بدوياً قذفت به الصحراء الى المدن ولكن عند مـا صافحته ورأيت عينيه البراقتين وانفه الاشم عرفت ان هذا البدوي الغارق في تأملاته هو الشاعر الرصافي .

كان يسير وحيداً تظهر عليه علامات البؤس والشقاء واضحة جلية في حين كانت القصور الرابضة على شاطئ دجلة والاضواء المتلألأة من نوافذها والسعادة المخيمة على نوافذها تبين عن نعمة وثراء، والشاعر الكبير لا يكاد يجد قوته الضروري او يجدد ملابسه الرثة ذات الخروق العديدة (؟!) .

اضطر الشاعر العراقي قبل اسابيع لمرض نزل به نتج من سوء التغذية وقلة العناية ان ينزل في (مستشفى العزل) بجانب الكرخ من بغداد وهذا المستشفى خصص لايواء الاشخاص الذين يبتلون بمرض خطر سار، فقلقت قلوب المحبين والمقدرين لهـذا الشاعر وظروفه ومـا نكبته الايام من قسوة وسوء حال متلهفين لسماع اخباره وادوار مرضه متمنين شفاءه .

وكان الشاعر الرصافي ينـام في المستشفى وهو شاعر بقرب اجله ودنو نهايته فاخذ يستعرض في مخيلته صور حياته التي قضاها في وطنه وبلاده محباً لها فارسل من المستشفى الى بعض اصدقائه هذه القطعة من الشعر مخبراً اياه انها ربما هي آخر ما يودع بهـا وطنه والناس :

الشاعران الرصافي والجواهري

في مساجلة شعرية طريفة

اشربت حب بلاد ما نشأت بها ... الا لادفع عنهـا كل عدوان
اخلصت حبي لها حتى نسيت به ... نفسي واهلي واحبابي وخلاني
يا موطناً لست منه في موادعة ... عش بعد موتي عيش الوادع الهاني
فكل من فيك تعنيني سعادتهم ... وكل ابنائك الاعداء اخواني
ان سرك الدهر يومـاً سرني واذا ... آذاك بالمزعجات الدهر آذاني
آليت منذ بلغت الحلم في وطني ... الا اقابل نعماه بكفران
وان اكون له عوناً اوازره ... بالنصر اول انصار واعوان
يا قوم اني من الدنيا ضحيتكم ... فقربوا من حيـاتي كل قربان
لا تحسبوني منكم جازعاً ضجراً ... وان يكن شظفي في العيش اضواني
اني ألفت على الايام محنتي ... فالنعم والبؤس عندي اليوم سيان

ولكن الله منّ على الشاعر ببعض الشفاء في جسمه فخرج من المستشفى ليناضل في سبيل الحياة والعيش من جديد . وقد هزت حالة الشاعر الرصافي ومرضه وبؤسه وعزلته شاعر العراق المجدد الاستاذ محمد مهدي الجواهري فاستجاشت روحه بقطعة من الشعر

الحي (في طريقها الى القصيدة الكاملة) قدمها الى الشاعر الرصافي بقوله : « لعلها تؤنسه في وحشته وان نذكره ونذكّره قبل ان يموت . . . » :

تمرّستَ « بالاولى » فكنت المغامرا
وفكرت « بالاخرى » فكنت المجاهرا
وفضلتَ عيشاً بين تلك وهذه
به كنت – بل لولاه – ما كنت شاعرا
وما الشعر الا ما تفتق « نوره »
عن « الذهن » مشبوباً عن « الفكر » حائرا
عن « النفس » جاشت فاستجاشت بفيضها
عن « القلب » مرتج العواطف زاخرا
وما زج في شتى المهاوي بربه
وقحمه « النهجين » قصداً . وجائرا
وما هو بالجبل الذي رحت مرغماً
« اوائله » ان تلتقي و « الاواخرا »

*

وكنتَ جريئاً حين يدعوك خاطر
من الفكر . ان تدعو اليك المخاطرا
على ثقة ان لست في الناس واجداً
على مثله – الا القليل – مناصرا
وكنت صريحاً في حياتك كلها
وكان – وما زال – المصارح نادرا
فان شابها ما لم تجد عنه ندحة
شفعت به حكم الظروف مسايرا
فقد كنت عن وحي « الضرورة » ناطقاً
وقد كنت عن محض الطبيعة صادرا
وقد كنت في تلك « الاماديح » شاتماً
محيطاً بارباب « القرائح » كافرا
وإلاّ فانت المانع الصفر عن « يد
ابت ان تحلّى في الجنان اساورا »

*

وانكَ انقى من نفوس خبيثة
تراود – بالصمت المريب – المناكرا
تعيب على الشعر التحايا رقيقة
وتلثم من « بغل هجين » حوافرا
تريد القوافي المؤنسات عفيفة
وقد شعّرت – للفاحشات – الضمائرا
وتنكر ان يستنشق الشعر « نفحة »
وقد فغرت اشداقها والمناخرا
وتطوي على « ام الدنايا » مباطناً
وتلقي عليها من اباء مظاهرا
كما اسدلت ليلاً « هلوك » ملحة
على مخدع العهر الحرير ستائرا
من العار ان نرضى التذبذب صامتاً
دنيئاً . خبيثاً . والغاً . متصاغرا
على حين تأبى ان تحرك شاعراً
ضرورة حال بدلت منه خاطرا
واني اذ اهدي اليكَ تحيتي
اهز بك الجيل العقوق المعاصرا
اهزّ بكَ الجيل الذي لا يهزه
نوابغه . حتى تزور المقابرا

وقد اراد الشاعر الجواهري عندما (ناغى الشاعر العربي العظيم الاستاذ الرصافي ان يكون له شرف تذكره وهو في عزلته الموحشة فكان له الى جانب ذلك ايضاً شرف ابتعاث شاعريته الفذة التي حالت حوائل المرض والانعزال والنقمة دون تمتع المعجبين بها في شتى الاقطار العربية . فقد هزت قصيدة الجواهري الاسد الرابض ذرعاً بعرينه وبني غابته والمنطوي على نفسه ألماً وغضباً وكبرياء .) فارسل اليه بقصيدة تعد من غرر شعر الرصافي اثنى فيها اولاً على الجواهري لتذكره اياه ثم اخذ يشرح له واقعة حاله فيقول :

تحدثت عن ماض حديثاً مجمجماً — كأنك فيه لم تكن لي عاذرا
وما كنتُ مختاراً كما انت قائل — من العيش ما لولاه ما كنت شاعرا
ولا اخترت عيشاً بينَ بينَ موسطاً — ولا كنتُ فيما ابتغيه مشاورا
ولكن هي الاقدار تجري بغيرما — يريد الفتى جرياً على الامر قاسرا
فتجعل ليثَ الغاب يتاو فرانعاً — وتترك صقر الجو يخشى القنابرا
وكم اقدرت من كان في الناس عاجزاً — كما اعجزت من كان في الناس قادرا
وما المرء الا مجبر في حياته — وان ظن فيها انه كان خائرا
ولدنا وعشنا ثم متنا وكل ذا — على غير اذن جاء بل جاء دامرا

*

ومن ذا الذي قد عاش في الناس راضياً
ومن ذا الذي قد عاش في الناس شاكرا

ولو كان عيش النـــاس وفق اختيارهم ... لمـــا كنت تلقى شاكياً او مخاطرا

*

لحى الله دنيا كلنا من جرائها ... نخوض الرزايا راكبين الضرائرا
ونحن مدى الايام نشكو بعيشنا ... فساد نظـــام يجعل الكد بائرا
نرى واحداً يقتاد الفاً لعيشه ... وينظر للالف المسخّر ساخرا
ولو وزنت اعمـــالهم باقتداره ... لكان بها كينونة الصفر شاغرا
فما عاش في محياه عيشاً مرفهـــاً ... من الناس الا من تحيل ماكرا
شقاء على كر الجديدين آخذ ... باعناقنـــا الا القليل المباكرا
وما الشعر بالحبل الذي قدذكرته ... ولكنه برق تموج دائرا
فما الشعر الا من بروق دوائر ... تدور اواليهـــا لتلقى الاواخرا
اذا لمعت فوق الطروس فانهـــا ... ترد الى التبر المذاب المحـــابرا
وقد برأ الله العوالم كلهـــا ... دوائر فيها حار من ظل فاكرا
نرى كل شيء عائداً نحو بدئه ... اذا نحن حكمنا النهى والبصائرا
اذن لم اكن في عالم الشعر مرغماً ... لاوله حتى يـــلاقي آخرا
نعم كنت في تلك الاماديح شاتماً ... زماناً يوالي كل من كان جائرا
وكنت بذاك المدح للمدح هاجياً ... وكنت بذاك الشعر للشعر حاقرا
اذا الدر امسى كالسخاب محقرا ... شددت به للناجحـــات سواجرا
وما العار في هذا عليّ وانمـــا ... على من اضاعوا مجدهم والمفاخرا

وقد شغلت هذه المساجلة الشعرية بين شاعرين عراقيين كبيرين لهما مكانتهما الادبية لا في العراق وحسب بل في الدنيـــا العربية ايضـــاً ، اندية العراق الادبية وصحافته واصبحت حديث الشباب المثقف وذلك للفرصة التي اتاحت له ان يقرأ لشاعرين مثل هـــذا الشعر التصويري الرائع وان يطلع على خفق ارواح الشعراء وسعير عواطفهم وآلامهم النفسية ونظرتهم الى الحياة والناس والوجود .

لقد كان الرصافي ولا يزال شاعراً حساساً متمرداً وضع بشعره الداوي تاريخاً خاصاً لفترة من حياة العراق برزت فيها عبقريته الشعرية وذكاؤه المتوقد وطموحه الجبار فكان صريحاً وصادقاً وقد قاسى بسبب صراحته ما قاساه في الماضي ويقاسيه في الحاضر من عوامل النقمة والبؤس ما جعله يرتضي لنفسه هذه العزلة التي يحياها الآن بكفاف في ايامه الاخيرة وقبل ان يموت لا يحقد على احد او يطالب بانصاف وانما يرى ان مـــا وصل اليه هو حكم الاقدار وليس في هذا من عار عليه خاصة وانه قد ألف محصته هذه على الايام فتساوى عنده النعيم والبؤس .

بغداد ... مهدي الفزاز

الحياة الادبية في جبل عامل

ماذاعساني اتحدث لقراء الاديب الغراء عن هذه الحياة المترامية الاطراف المضيئة الافق هذه الحياة التي تطالعك في كل بلد وفي كل بيت من هذا الجبل فأنت اينما اتجهت وحيثما ارهفت اذنيك سمعت ادباً وانشدت شعراً ، وربما التقيت بنفر من رعـــاة الماشية تغمرهم الامية فألفيتهم يتساجلون – الزجل ودلعونا – لونين من الوان الغناء البلدي – فـــلا تتماسك ان تقف الساعة والساعتين لتشبع روحك بالمعاني المبتكرة والتراكيب العجيبة ، واراني لا اتعدى الحقيقة اذا قلت ان ارض جبل عامل هي اكثر امراعاً بالادب منها بالنبات ، والحيـــاة العلمية والادبية في هذا الجبل ترجع الى مئات السنين وآية ذلك ان مجالس العلماء ودور الزعماء لم تغلق في يوم من الايام امام احد من ابناء القرى الذين يؤمونها في كل صبح ومساء حيث يكون وعظ العـــالم وانشاد الشاعر وحديث الاديب ، والحديث كما قيل شجون وربمـــا كان سجالاً بين فريق وفريق وبين بلد وآخر . وبلدان جبل عـــامل كثيرة منبثة هنا وهناك تكاد تتجاوز الـ ٤٠٠ بلد ولتقرب هذه البقعة من ذهن القارىء البعيد يجمل بي ان احددها بالشكل الذي عرفت به بعد الحرب الماضية – وهي جنوباً الحدود الفلسطينية – شمـــالا نهر الاولي – غرباً البحر الابيض المتوسط – شرقاً حرمون ، سلسلة جبال الريحان . عدد سكانها مئتا الف ، اشهر حواضرها النبطية – بنت جبيل . عواصمها الساحلية صيدا – صور . مواردها الحبوب على اختلافها والتبغ وما تنبت الارض من شجر وبقول واكثر اشجارها التين ويكثر فيهـــا بصورة خاصة انواع الماشية كالغنم والبقر والماعز ولسكانها ولع خاص بركوب الخيل واقتنائها . ثم ان لهذا الجبل تاريخاً حافلاً بالمروآت والبطولة والنضال منذ زمن بعيد ولقد لاقى من الاهوال والصعوبات ما لاقى منذ الحروب الصليبية وقبلها وبعدها لا سيما في عهد الجزار حين غزاه بجيش كبير منذ مئة وخمسين عاماً عندما كان امير الجبل الشيخ ناصيف النصار وقد لقيه الجزار على حين غرة في ضاحية جنوبية من ارض الجبل اذ كان الامير وحاشيته في رحلة صيد وقنص وهنـــاك نشب عراك بين الامير والجزار ، انتهى بقتل الامير وحاشيته ، وبعد ان تم له دخول الجبل عمد الى

قتل العلمـــاء والادباء حتى اضطر من لم يدركه القتل ان يفر الى جهات مختلفات تاركاً وراءه اهله وعشيرته ، لم يقف الجزار حيال هؤلاء الفارين مكتوف اليدين بل دخل بيوتهم وخربها ونكل باصحابها بعد ان جمع مكتباتهم وآثارهم العلمية والادبية وبعث بها الى افران عكا حيث غدت وقوداً لنيران خبزه ؟؟ بعد ذلك هل وفق الجزار ومن قبله ومن تلاه ممن تعاقب على حكم هذا الجبل ان يقتلوا الروح العلمية والادبية فيه ، كلا بل زادوه ايماناً بالفكر وجنوحاً الى المعرفة .

ولقد كان في جبل عامل حتى حقبة من السنين الخالية ثلاثون معهداً علمياً او تزيد يتعهدها اعلام من علماء الدين ينشرون في ربوعه حب الخير والفضيلة ويلقنونهم حب الادب والشعر ، وهكذا تستمر الحياة الادبية في جبل عامل حلقات تعقد هنا وهناك وهي تحفل بالشعراء المبدعين الذين كانوا يتغنون ببطولة ابناء جلدتهم ويصفون معاركهم وغزواتهم وينتقصون خصومهم السياسيين والحربيين بشعر قوي في روحه وديباجته وجزالته وشيء آخر تجدر الاشارة اليه وهو زعماء الجبل – قبل خمس عشرة سنة – فلا يوجد منهم الا من ينظم الشعر او يرقى المنبر ويناقش في كل ناحية من نواحي العلم والادب .

سادت الحيـــاة الادبية في جبل عامل مئات السنين وقد كان محكوماً عليها بالبقاء لولا انهـــا فوجئت بالمدرسة الحديثة ثم وفاة بقية العلماء المدرسين اضف الى هذا تطور الحياة بميولها ونزعاتها واغراضها وهناك ناحية خاصة كانت تسود جبل عامل هي اقطاعية الزعماء في نفوس الشعب وتوجيهه توجيهاً اقليمياً فيه الكثير من الانكماش على حب البيئة وحب الاستسلام للواقع وحيـــال هذه الرجعية التي قادت البلاد القهقرى استيقظ نفر من رجالنـــا المعاصرين ووقفوا انفسهم ابان الحرب الماضية على الدفاع عن الشعب ورفع مستواه سياسياً وادبياً واستمروا في نضالهم المجيد حتى يومنا هذا نذكر منهم الاساتذة الشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان ، اول صحيفة انبثقت عن جبل عامل فكانت حلقة الاتصال في سلسلة الجهاد الادبي في سبيل القضية العربية وتقريب الافكار بيننا وبين الاقطار العربية

واهابت بابناء جبل عامل كي ينشروا ما يجيش في صدورهم ويعتلج في نفوسهم من ادب وعلم وسياسة ثم تحمل لهم من انتاج الادباء المعاصرين في الشرق والغرب ما يرهف افكارهم ويبلور اذهانهم ، والشيخ سليمان ضاهر والشيخ احمد رضا من اعضاء المجمع العلمي بدمشق هؤلاء الفرسان الثلاثة هم استاذوا النهضة الاولى اذ كانوا اول الداعين الى تحرير الفكر وانطلاقه من دنيا الجمود السياسي الى دنيا الوعي والتفكير ، لقد وفقوا في دعوتهم الى اقصى حدود التوفيق وهناك ايضاً سببان بارزان في نهضة الحياتين الادبية والعلمية اولهما مدرسة النجف الاشرف التي تلقن تلامذتها العلماء شتى انواع العلوم الدينية والادبية حتى اصبح – بحكم الواقع – كل عـــالم ديني في جبل عامل ربيب هذه المدرسة ، والسبب الثاني في تكوين الناحية الادبية هو الظلم اللاحق بهـــذا الجبل من تعاقب الحكومات عليه العـــاملة على قتل الروح السياسية والاجتماعية فيه . هذان همـــا السببان – على ما اعتقد – في انماء الشعور الادبي واظهاره في جبل عامل غير انه بالرغم من تلك الظروف التي مر ذكرها ، فقد استيقظ منذ عشرين سنة نفر من ابناء هذا الجبل وبعث بابنائه الى المعـــاهد العلمية في بيروت ودمشق واوروبا ، ولئن كان هذا الايفاد قليلاً بالنسبة الى البلاد المجاورة فأنه يعتبر على كل حال وعياً علمياً اظهر لنا ثماره الطيبة واكبر دليل على ذلك العالم الكهربائي الكبير المرحوم حسن كامل الصباح ثم القضاة والادباء والصحفيون ورجال الجندية وهناك مئات من الشباب حملة الشهادات العليـــا في السياسة والطب والهندسة والعلوم وكل من ذكرت من هذه الفئات تغلب عليه الفطرة الادبية من شتى نواحيها ألم يكن المرحوم الصباح عالماً رياضياً ومخترعـــاً كبيراً ولكنه في الوقت نفسه من الادباء البارزين ومن اصحاب الرأي في الادب والاجتماع والاستاذ الحوماني صاحب مجلة العروبة وعلم من اعلام الوطنية ومن الشعراء المبدعين والادباء اللامعين ثم القاضي الاستاذ رضا التامر الذي هو الى جانب تخصصه الحقوقي يحمل دبلوماً في الصحافة ويجيد الادب ويرويه والقائمقام محمد السهيل الذي هو من الشعراء المجيدين ويعرف القراء الاساتذة خليل هنداوي وفتى الجبل والقـــائد محمد جواد .

كاتب المقال بريشة « فروخ »

ولا اكتمك الآن بان كل المتعلمين في جبل عامل وغير المتعلمين ينظمون الشعر ويميلون اليه حتى الاميين انفسهم تبدو فيهم الفطرة الشعرية قوية جلية وهنا يبدو ان طبيعة جبل عامل قد ألبسته ثوباً من الجمال والبساطة ووهبته تلك الصفات البارزة ولا سيما مايتملك النفوس هناك من تعصبهم للغتهم وشغفهم بها يزيدهم رغبة في الاطلاع على اسرارها ومكنونها ، ثم انه ليروعك حين تعلم ان نسبة عدد الشعراء في جبل عامل يفوق نسبة سواهم في البلدان العربية الاخرى واما شيوع النكتة عندهم وتذوقهم اياها وخلقهم لها فهذا يستغرق بحثاً خاصاً ، ثم مطالعاتهم الحديثة ولاسيما ما تخرجه المطبعة العربية في مصروليس يعني انهم قاصرون على مطالعة الكتب بل ويطالعون المجلات الشهرية المعروفة

وقد بدأت في هذا الجبل حركة ميمونة ترمي الى تأليف نواد ومجتمعات وتهدف الى محاربة الامية وبث الروح الادبية والعلمية وابناء جبل عامل من ابعد الناس عن التعلق بالاحزاب الشعوبية بل كانوا ولم يزالوا من عشاق العروبة والعربية وكل لغة ولادب عندهم يأتي بعد لغتهم وقوميتهم ، وتجدهم تواقين الى الانتصار لمبدأهم القومي العربي

كنت اتمنى لو اتيح لي في هذه العجالة ان اقدم بين يدي قراء الاديب طائفة من شعرهم ولوناً من ادبهم لولا ضيق المجال ولعلي في عدد مقبل اقوى على تقديم نماذج من هذا الادب ، وامنيتي الثانية هي ان لا يحرم هذا الجبل من زيارة العلماء والادباء في لبنان وغيره لربوعه ليتعرفوا اليه عن كثب وعندئذ يعلمون ويشهدون اية كنوز مخبوءة في هذا الصقع من وطنهم العربي .

محمد قره علي

لمحة عن ادباء فلسطين

سبق لي ان كتبت على صفحات « الاديب » لمحات خاطفة عن الشعر والشعراء في فلسطين العربية واليوم اعرض صوراً مماثلة عن الادب وكتاب الادب في هذا القطر المتوثب ، ليطلع العالم العربي المثقف على الروح الادبية والثقافة العربيـة المتفجرة من ينبوع فلسطين المقدسة .

جمال الحسيني : استطاع هذا الرجـل رغم مشاغله السياسية ورغم تزعمه الحزب العربي العتيد الذي عمل ولا يزال يعمل لمصلحة الوطن العربي في فلسطين لادماج تفكيره الوطني السياسي بفكرة ادبية قصصية ، فاصدر رواية « على سكة الحجاز » وهي مأساة لترحيل قرية عربية كاملة من وطنها في اللواء الشمالي ورسم ظروف عائلات تلك القرية وانواع الارتباك والمتاعب الـتي استولت على افكارهم وحياتهم المعنوية والمادية عندما هوجموا بانذار الحكومة وقد تعودوا ان يعيشوا من محصولاتهم كل عام ، وفي سكة الحجاز وصف للروح الوطنيـة المؤزرة بعنصر التضحية في نفوس الشباب العربي الفلسطيني فالى جانب تلك القصة مأساة حزينـة شجية هي ايضاً مليئة بالتشوف والاطمئنان الى مبـادىء واعمال وطنية انشائية . وله قصة اخرى ايضاً تهدف الى رسالة شبيهة برسالة « على سكة الحجـاز » ولا غرو في ذلك فالرجل عريق الماضي في العمل السياسي الوطني وهو صاحب امتياز جريدة اللواء وهي جريـدة يومية صدرت في القدس وكانت جريدة لها عناية بالادب القومي الوطني وخاصة الشعر — وكانت هذه الجريدة تصدر باباً خاصاً في غضون الثورة العربيـة الفلسطينية تحت عنوان « الشعر القومي » .

قدري طوقان : عالم في الفلك والطبيعة والرياضيات مشهود له في الاقطار العربية الشقيقة . يأتي بالبحث الفلكي العويص فاذا به يتسلل بين يديه قصة من قصص الكون الزاخر بالعجائب والمحشود بالمسافات والاجرام فهو في اسلوبه وفي تفكيره عالم متفوق دائب على سبر حقائق الطبيعة مكب على اظهار ما كان للعرب في مدنياتهم الزاهرة من فضل بصدد تكوين نظريات وعمليات جبرية وكيمائية ومثلثية « علم المثلثات » وحسابية ، ويندر ان يمر شهران او ثلاثة دون ان يدون هذا العالم المجتهد صفحة جديـدة من صفحات العلم العربي المطوية .

الدكتور موسى اسحق الحسيني : اصدر مذكرات دجاجـة وكتاب رأي في تدريس اللغـة العربية وهو محاضر منتج متتابع الالقاء من وراء مذياع القدس وفي آرائه اعتدال في نظراته الاجتماعية وهو اكبر معلم للغة العربية في اكبر معهد فلسطيني الا وهو الكلية العربية في القدس وله صلات وثيقة مع مستشرقي اللغة العربية في لندن وبرلين وهو شديد الاحترام لهؤلاء المستشرقين

خليل السكاكيني : كاتب في النقد الادبي واللغـة وقد القى عدة محاضرات في مصر بكلية الآداب امام نفر مثقف من الجمهور المصري وكانت له مصاولات مع الدكتور طه حسين اراد بها ان

يخرج الدكتور في مناسبات متباينة فانسحب الدكتور اخيراً بهجمة من هجماته السلبية وقد نشر عدة مقالات في جريدة الشورى المصرية الفلسطينية التي كانت تصدر في القاهرة ويشرف على تحريرها السيد محمد علي الطاهر الوطني الفلسطيني المجاهد .

اسعاف النشاشيبي : لغوي كبير وجامع اقوال من كنوز الثقافة التي انتجها السلف العربي الصالح – يتذوق الادب القديم في مبانيه قبل معانيه .

اسمى طوبى : تكتب نسائيات في جريدة فلسطين وهي ذات فكرة لاصلاح المجتمع وعلى الاخص مايتعلق بالسيدة الشرقية وفي هذه الفكرة تبدو عريقة في شرقيتها بمقدار ما هي داعية الى التطور الاجتماعي الوطيد انما هي تخشى على الفتاة الشرقية من ان يجرفها تيار اللمعان في حياة الغرب وتريد فيها ان تبقى محافظة على شرقيتها لبقة في موقفها ازاء النزعات المتباينة التي تأتي الى العالم العربي من الشرق ومن الغرب وتريدها ان تقف سنديانة منيعة بين تلك التيارات وفي تفكيرها الاجتماعي بصيص من التأثر بالادب الروسي ..

محمود سيف الدين الايراني : اصدر كتاب اول الشوط وهو مجموعة مقالات بين قصص ونقد وكان في تحريره مجلة الفجر جريء القلم ناصع الآراء صريحها وله رأي في الادب اللبناني العربي والادب المصري العربي يفضل فيه الاول على الثاني ولقد اجتمع الشاعر محمد حسن علاء الدين معه في تحرير جريدة الصراط المستقيم في عهدها الاخير اي في اثناء اعوام الحرب التي اصبحت فيها جريدة الصراط تصدر يومية ممتازة على بقية الصحف اليومية الفلسطينية بمقالات اجتماعية ادبية تنشر على الصفحة الثانية والثالثة .

الدكتور يوسف هيكل : كاتب سياسي ومؤرخ اصدر كتاب « القضية الفلسطينية » وكتاب « الوحدة العربية » في العهد الاخير وله عدة مقالات ومحاضرات عن « الوحدة العربية » وكأنه يعشق هذا الاسم ولا يرضى به بدلا .

خليل بيدس : قصاص يستمد حكاياته وقصصه الصغيرة من تاريخ الشرق القديم فيعرضها في لغة متواضعة تكاد تكون شبيهة بلغة الجرائد تقريباً لمعانيها الى اذهان القراء او السامعين وهو شيخ متقدم في السن وقد اصدر مجموعات مطبوعة من قصصه وكثيراً ما يتحدث بتلك القصص من وراء المذياع .

وهناك كتاب وادباء آخرون اذكر منهم السيد اكرم الخالدي والسيد علي الصالح والسيد وديع الترزي وشفيق الترزي وعبدالله القلقيلي والسيد مطانيوس نصر وعبدالله مخلص واسعاد الخورشيد وعارف العزوني وابراهيم الشنطي صاحب امتياز ورئيس تحرير جريدة الدفاع الغراء .

ولا بد من الاشارة في الختام ولو بكلمة موجزة الى النهضة الفكرية بدأت تنتعش في هذا البلد العربي العريق ، ولا يمكننا ان ننسى انها بذلك تقدم سهمها الوافر في ميدان العلم والثقافة بعث نهضة ادبية للامة في الوطن العربي الكبير .

حيفا ابراهيم عبد الستار



اول الربيع

للاستاذ رشدي المعلوف – ١٤٨ صفحة – منشورات الجديد – بيروت

اول الربيع – ربيع السنة – برعم يشعر بقلق الطيب بين اضالعه ، ونسمة تنعش الخمائل من اغماء الشتاء ، وخيوط من النور يكمن فيها اللون ، وخفق اجنحة السنونو يبشر بالتهاليل ، وبالاعشاش تبنى من العشب الطري ، ومن ريش الطائر الانثى تنتقره من صدرها لتفرش سرير الصغار ، ومن قطرات الندى ونفحات الازاهر ، على هينمات الخرير والحفيف والاغاريد ، وعلى بركات الله …

واول الربيع – باكورة رشدي المعلوف – فيه اكثر من عنوانه . فيه اوائل الربيع من طيب ونور ولون ونغم ونسيم ، وفيه تطلّع الى الثمر ، الى يوم يقيظ القيظ ، وتموت الحبة في التراب ، لتحيا سنبلة من الذهب المأكول … ، بل فيه تطلع الى يباس الخضرة ، والى جمود الدم في الشرايين ، والى تساقط الاوراق ، والى دوي الرياح … : الى الخريف . ولم اجد فيه شيئاً يتطلع الى صقيع الشتاء ، والحق اننا نضنّ برشدي المعلوف ان يقفز مراحل الفصول قفزاً ، وان يصل الى شتاء عمره الشعري قبل ان يتمتع بربيعه ، ويستغل صيفه ، ويستجم في الخريف !

و« اول الربيع » لا تصل اليه الا بعد ان تسير شوطاً بعيداً في شيء شاء لصاحبه ان يكون مقدمة الربيع ، فجاء كالطريق الدارسة في الادغال ، لا تكاد تتلمس فيها قبساً الى الهدف حتى تضيع ، في التواء وفي لف ودوران ، على غير تعبيد لفظاً ومعنى ، حتى لتكاد تعتقد انك ستصل بعد هذا الجهد الجاهد المجهد الى ربيع منظوم هو أشبه بتلك الطريق المنثوره كوماً من حجارة بعد حفائر ليس لها قرار ، واذا بك ، فجأة ، تطل على بلاد الشاعر ، « كوم الورد على الارض » ، ثم لا يفارقك اريجها بعد ذاك ، حتى على القبور !

ولعل اروع ما في هذا الديوان ديباجته العربية ، فالمعلوف واحد من اسرة لم تفسد عليها اللغات الاجنبية مسحة اللغة الام ، سواء عليه في ذلك « الترمّز » او الترسل ..

وليست الرمزية كما يعتقد البعض ، هي التخلص من قيود اللغة والمنطق ، وانما هي شيء يتعلق بالصورة ، وبالفكرة ، وبالاحساس ، او بكيفية الاداء ، اما اداة هذا الاداء فواحدة ، ويجب ان تبقى واحدة بالشكل والحرف المألوفين !

وبعد ، فرشدي شاعر مطبوع عندما يترك لسجيته العنان ، وهو شاعر مصطنع عندما يأبى الا ان يكون رمزياً – سيراً على « خطة مرسومة » – ، ولكنه على كلّ حال شاعر مرهف الحس ، مطمئن التفكير ، طليق الخيال ، انيق الهندام ، في كثير من الروية والاتزان . وهو بنّاء يحب البناء في شعره وفي نثره ، ويدعو الى التصميم حتى في العواطف ، وفي مغاني الجمال : « وكنت على مغنى جمالك بناءً » ومن عرف رشدي الرجل ، عرف رشدي الشاعر . وجه واضح القسمات ، جميل الملامح ، وبنية صحيحة قوية ، وانك لترى شيئاً من التناقض بين عينيه الحالمتين ومنكبيه الهرقليين ، وقد ظهر شيء من ذلك في شعره عفواً .

أأكون اخطأت التعبير ؟.. اريد ان اقول ان رشدي المعلوف شاعر لم يهتد تماماً بعد الى طبيعة روحه طلقة مطمئنة ، وان روحه – لحسن حظنا – لا تتقيد دائماً باوامره ، ولا باشارات المعجبين « الموجهين » ، وانه عندما يجيل عينيه الحالمتين اجمل منه عندما يهز منكبيه العريضين . فاذا لم يفهم القاريء ما اقصد ، قلت له ان اجمل مقطع من قصيدة بلادي هو :

بلادي غير من يُغزى
ومن يُغلب
بلادي قبس الساري بلادي شبع الضاري
بلادي مغزل النعمة للعاري
بلادي واحة التاريخ والتاريخ عطشان
بلادي موئل الناس اذا روّع انسان
بنينا سوجها رمزا
ولم نعتب

فاذا بقي القاريء مصراً على عدم الفهم ، بقيت مصراً على عدم الايضاح ، والقاريء بين امرين : اما ان يعتبرني غير فاهم ما اقول ، واما ان يرفعني الى درجة الكتاب الرمزيين ، وهو على خطإ في كلا الحالين ! .

وقد اكون مخطئاً من حيث المنطق الصرف ، وقد لا اكون . ولكن ذلك ليس هو المهم . وانما المهم في الشعر قبل كل شيء ان يشعر القارئ بمثل ما شعر الشاعر ، او بشيء منه . ولعل بي بعض التحجر نحو ابيات رشدي « الوطنية » ، فاني لا ارى فيها القوة ولا الاندفاع . اما الاخلاص والصدق – وهما ميزتا رشدي في كل ما يكتب – فلا يكفيان في هذا الميدان .

اني افضله يصور لي مواكبة بريئة :

انا ارعاك بجفن مرهف الحس ، مُضاء
يتولاك على الخطو اختلاجاً وارتقاء
مثلما تنهد للرؤيا قلوب الاتقياء !

او يبتهل الى الله في عيد الامهات :

أمنتهن على الحياة وكنت في احشائهنه
وتركت من خفقان قلبك خفقةً في صدرهنه
فامسح بانملك الجراح وردُّ اطراف الاسنه
لتطل شمسك في الصباح وكل أم مطمئنه

او يصف نشاط الارض وخصبها بتوقيع هو النشاط بعينه :

أمنا الارض
ينثر الاطياب فينا
والندى والياسمينا
قلبها الغض !

أو يعود مريضاً عزيزاً ، عيادة روح متفانية في الود :

لو ارأت علل الشحوب جعلت خدرك جانحاً
وتركت حولك خفقةً حرّى ، ورفرفةً وليا
مالي اخي . عنك ما حمل الضنى مني اليا
وانا ، سلمتَ ، اكاد اخفر عائديك بمقلتيا . . .

وافضله في الف مقام مماثل ، شاعراً يذوب على وهج الحنين ، افضله عليه يتنطح لفكرة وطنية معينة يريد اثباتها وهي جموح :

وجيشنا على الغرب
غد الفتح
فهذا رائد النطق وهذا كالئ الحق
وهذا بطل الايمان والرفق
ومنا كان طاليس وان زور من بعد
وغنينا وهوميروس لم يحلم به مهد
وفاتت ربة الحب
الى السفح . .

واسارع للقول – تخطئة لسوء ظن بعض القراء – اني انقد شعراً ولا اناقش رأياً سياسياً ، فانا عربي ابن عربي ، ولو كان لي حسام لرددت قول الشاعر :

فلساني وحسامي وانا عربيٌ ، عربيٌ ، عربي

والقصيدة التي نحن بصددها ، « بلادي » فينيقية محض ، والفينيقيون قوم مخروا عباب البحر يوم كان عصيا ، وسجلوا الابجدية والزجاج والارجوان ديناً لهم على الانسانية ، ومن العدل ان يذكروا بحق من قبل المؤرخ المنصف ، وان يذكروا بفخر ممن يحبون الانتماء اليهم ، وان كانوا قد انقرضوا عن بكرة ابيهم ، فالعبرة فيما يخلد التاريخ . ولكن هذه القصيدة ، من حيث هي شعر ، ليست موفقة على العموم . مع ان من اجمل ما فيها ، ومن اجمل ما حوى اول الربيع ، هو ما يمت الى الفينيقية بصلة وثيقة :

وكان الجن في اليمّ
فلم نرهب
ولاحت سفن تجري تضمّ البرّ للبرّ
وترمي كوة اليقظة للفجر

فما الذي دخل في روع الشاعر كشاعر ، حتى جاح عن هذا الطريق السوي ، فتابع قائلاً :

وعمّدنا من المغرب طفلاً باسم اوروبا
وعلمناه ان يجمل بالمنة والقربى
فلا لوم على الامّ
اذا اذنب

فانحدر من لغة الشعر الى لغة البيانات . . .

وطالما هذه القصيدة هي الوحيدة ، في اول الربيع ، التي يمكن وضعها في باب « الوطنيات » ، والى ان يطلع علينا رشدي المعلوف بغيرها اجمل منها واقوى جرساً ، اقوى على الاخص – وله ملء الحق في ان يكون بعقيدته كما يشاء – يحق لي الآن ان افضل عينيه الحالمتين على منكبيه العريضين !

ولكي انسي القارئ هذا الجو المكهرب ، اعود به الى رشدي المعلوف الشاعر :

يذكرني حلوتي هوى بيننا ابكم
يني الى اضلعي ويكتم ما اكتم
وأصغي ففي آخر الزمان صدى ملهم
يرجع للعاشقين سلافة ما قدّموا

عذوبة وجمال ، وفكرة وخيال ، وصورة تتفتح على جرس

كلمة موحية، وشعور يترقرق صافياً من صفاء الالفاظ المنتقاة، وفي كنف لغة صحيحة على العموم . اقول على العموم، لان هنالك بعض الاخطاء اللغوية لم يحققها الشاعر . فقد جمع «غمر» بمعنى الموج على اغمار :

ويوم البحر للعـالم «اغمار» من النور

او :

واحيا باعمـار النسور فأجتني لك الغار اغماراً تموج واشذاء

والصواب غمار، دون همزة . اما ما يجمع على اغمار، فغمر بمعنى الحقود والعطش والجاهل والابله، والزعفران وطـلاء من الورس . وليس في كل ذلك قصد الشاعر . كذلك استعمل فعل «أمرع» متعدياً :

ورحنا نُمرع التربا بايدينـا

مع ان أمرع لا تفيد المعنى المقصود اذا تعدت، بل يقـال : أمرع رأسه بالدهن أي اكثر منه وارسله، ويقال — وهو ما اراد الشاعر — أمرعت الارض، والفعل هنا لازم ...

وقد لاحظت الى ذلك بعض التنـافر الثقيل على السمع، كالهمزتين المتتابعتين في قوله « ... عليّ وكادت تترك العب. أعباء» والقافين المتتابعين في قوله : «أحسك في اعماق قلبي اناملا..»

ولكن العرض لا يفسد الجوهر . وحسبك اني ذكرت لك بعض المحاسن مررت بها سراعاً، فاذا هي الكثرة الساحقة فيما كتبت، ثم ذكرت لك معظم المساوىء لغة ولفظاً فاذا هي القلة المسحوقة اذا جاز التعبير . ولولا انني متهم بصداقة رشدي المعلوف وبصراحتي، لما ذكرت غير المديح، ولعل المديح اقرب ما قلت الى الصواب !

سليم حيدر

مستقبل التربية والتعليم في العراق

بقلم الدكتور محمد فاضل الجمالي — ٣٢ صفحة من الحجم الكبير — طبع بمطبعة التفيض الاهلية — بغداد ١٩٤٤

شغل الدكتور محمد فاضل الجمـالي أرفع المناصب في وزارة المعارف العراقية مدة خمس وعشرين سنة . وكان في آخر عهده بالمعـارف المشرف الاول على سياسة التعليم في العراق لحديثه عن المعارف العراقية حديث خبير فني تمكن بفضل اتصاله المباشر بالحياة التعليمية من الوقوف على دخائلها وادراك نواحي النقص فيهـا ووسائل الاصلاح التي ينبغي ان تتوفر لجعلها تساير التطور العلمي الحديث . واذا عرفنا ان الدكتور الجمالي بالاضافة الى خبرته هذه قد زار اهم دور العلم في الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسه والمانيه والدنمرك وتركيا وسائر البلاد العربية واطلع على نظم التعليم فيها وبأن حضرته يعد اكثر الاخصائيين في العالم العربي اطلاعاً واوسعهم ثقافة واشدهم رغبة في تتبع الحركة التربوية العالمية . اذا علمنا كل ذلك، ادركنا قيمة هذه الرسالة الموجزة وما تضمنته من معلومات مركزة ونظرات صائبة .

يتحدث الدكتور الجمالي عن الدعائم الاولى التي يجب ان يقوم عليها نظام التعليم المقبل في العراق . وهي في نظره ينبغي ان تستمد من التراث القومي ومن فلسفة عالم الغد الـتي تغذي ذلك التراث بعواملها الثلاثة : الايمان والعلم والفن . هذه العوامل الـتي ينشأ عنها الخير والحق والجمال، تتطلب من المدرسة العراقية الحديثة ان تعنى، في تربيتها الجيل الجديد، بالروح والفكر والعاطفة والخلق وان تضمن لهذه القوى جسماً صحيحاً يكفل نموها وتوازنها .

ويرى الدكتور بان مستقبل التربية في العراق يتطلب الاهتمام الكلي بالتربية الاخلاقية وضبط النفس والتربية الوطنية والعلمية والفنية في جو ديمقراطي صحيح يوحي الثقة والتعاون .

ولتحقيق ذلك يجب على الدولة ان تعتبر عملية التربية والتعليم اهم واجباتها الوطنية، فتزيـد نصيب وزارة المعارف من موازنتها العامة، وتضع لها سياسة يتوفر فيها الاستقرار والثقة وتحل التعاون بدل التنافس بين كبار الموظفين . وهذا التوجيه يحتاج بدوره الى هيئة عليا للمعارف تضع المشاريع الكبرى التي يجب ان تحققها الحكومة . وتتألف هذه الهيئة من اشخاص لهم صفة ثابتة لا يتبدلون بتبدل الوزارات ولا تسيطر على اعمالهم السياسة الحزبية .

ثم يتكلم المؤلف عن دور الامومة والمدارس الابتدائيـة والثانوية والعالية فيصور وضعها الحاضر وما فيه من نقص وتقصير . ولا يترك ناحية من نواحي الضعف الا بعد ان يعالجها . فالعراق بحاجة ماسة الى تعميم التعليم المجاني الابتدائي للشعب . انه بحاجة الى ادخال خمسة عشر الف تلميذ كل سنة في المدارس الابتدائية مدة ثلاثين سنة وتأمين ٥٠٠ معلم ومعلمة سنويا حتى يتمكن من تطبيق هذا النظام الشعبي . اضف الى ذلك ما تحتاجه العشائر من مدارس سيارة تنتقل معها الى حيث الكلأ والخصب .

اما التربية الثانوية الحالية في العراق فهي لا تحمل، في نظره، من معنى الثانوي الا الاسم . ولذلك هي بحاجة ماسة الى توجيه جديد يكفل تطورها السريع ومجاراتها المدارس الثانوية الحديثة

في العالم . ويشدد المؤلف على استكمال فروع الجامعة العراقية لانها رمز كيان البلاد الثقافي. ويرى بان كل خطة لسياسة المعارف لا تستهدف تأمين كيان الجامعة العلمي ، هي خطة لا يمكن ان يعتمد عليها . والجامعة في نظره لا تكون بتحقيق وجودها الاسمي فقط ، وانما بتوفر عناصر رقيها العلمي ، وهي ايجاد هيئة ثابتة من الاساتذة والعلماء الاخصائيين ، وتكوين مكتبة عظيمة تضم اهم المراجع للتحري والبحث، ومختبرات حديثة تشجع النزعة العلمية على مواصلة الدرس والاستقصاء ، وجو علمي له استقلاله وحريته، جو جامعي ينعم به الشباب الديموقراطي الحر .

ويخصص المؤلف فصلا عن اعداد المعلم العراقي الحديث وما يحتاجه هذا الاعداد من وسائل لا تتوفر اليوم في دور المعلمين العراقية .

ويختم رسالته بفصل عن الاعمال الثقافية غير المدرسية، كمنظمات الشباب ، وبيوت الشعب التي نجحت نجاحاً باهراً في تركيا وأمنت للشبيبة جواً علمياً واجتماعياً ، وحياة رياضية ضمنت توجيه تلك الشبيبة نحو اهداف قومية ووحدة . ولا يسع الدكتور الجمالي ، وهو في طليعة دعاة التعاون الثقافي بين البلاد العربية ، الا ان يختم رسالته بالكلام عن نواحي هذا التعاون ، وكيف يجب ان تتم بين الاقطار العربية من جهة ، ثم بينها وبين امم العالم الحر من الجهة الاخرى .

فالعراق الفتي سيكون في مقدمة الدول التي ستستفيد من روح العالم الجديد ، روح الحرية والدمقراطية والمساواة في الفرص بين الافراد وبين الامم ، وبهذه الروح يرحب العراق بالتعاون الثقافي بينه وبين الاقطار العربية ، ثم بينه وبين الدول الحرة الجديدة، ويمتاز اسلوب المؤلف بالايجاز والسهولة في عرض الافكار وبالنزعة العلمية التي تعنى بالفكرة اكثر من عنايتها باللفظ .

وفي الرسالة مجهود علمي هو ، في الواقع ، ثمرة مطالعة مئات الكتب والتقارير والمقالات الحديثة التي تعنى عناية خاصة بمستقبل العالم وتوجيهه نحو السلم والتعاون عن طريق التربية والتعليم .

ولا يسع المعجب بهذه الرسالة الا ان يتمنى للدكتور الجمالي عودة سريعة الى وزارة المعارف العراقية ليستطيع ان يحقق ما كتبه وتمناه ، او ليتمكن ، على الاقل ، من اصلاح اخطاء الماضي التي سببت تدخل السياسة في المعارف العراقية وابعاد الدكتور عن منصبه في وزارة المعارف .

شفيق نقاش

الاغوار

ديوان شعر للاستاذ احمد الصافي النجفي – ١٩١ صفحة – منشورات دار المكشوف – بيروت

يطل الصافي من جديد . ولكنه في هذه المرة يطل من افق اكثر شموخاً حتى ليكاد يعجز القارىء لحاقه والمسير معه في كل دروبه .

لقد عودنا الصافي مثل هذا التصعيد المجنح من قبل ، وهو في هذا الديوان الجديد يزيدنا اشواطاً واشواطاً . ولقد سبقت مني كلمة واجدني اليوم كما كنت بالامس مؤمناً بها مطمئناً الى ما فيها من حقيقة وهي :

ان الشعر كائن حي فيه وحدة الحياة الانسانية ووحدة الحياة في سائر اجزاء الوجود ، وجميل ان نعتقد بان الشعر كائن يتمتع باخص صفات الحياة ، فهو يحس ويشعر ويأمل ويألم ويحب ويهيم ويفكر ويحلم الى غير ذلك من خصائص الاحياء ، ولكنها في الشعر خصائص كلية تتصل باحساسها وآملها وحلمها وفكرها بكل حي بكل طبيعة فيها عرق من عروق الحياة النابضة الممتدة في كل شيء .

فالشعر الحق هو الذي يشعرك لا بأنه صورة من الالم والحب ، بل الذي يشعرك بانه يألم ويحب بنفس وحياة وفيه طبيعة الالم والحب كلها . ان الشعر الحي يشعرنا في القطعة المتفجعة بانه انفاس تذوب حقاً وتتقطع حقاً في صدر قريب منا ، تضطرب حناياه وتطرد حتى نسمع ونرى دموعه المتساقطة المتحدرة الى مهواها . ويشعرنا بالقطعة الضاحكة بالشفاه المفترة والرنات المتسعة بسر المرح المنشور ، ويسمعنا تكسر الصوت على الصوت واختلاط الاصداء المنعكسة حتى نلمس ونرى الكائن الشعري في القطعة التي تقع الينا . . .

ان نزعة الشعر الكامنة فينا تطلب غير ذلك النوع من الشعر الذي تعود الشعراء اسماعنا اياه ، نصبو الى الحرية المطلقة وشعرنا غارق في القيود ، نتعشق المثالية وشعرنا تشيع فيه الوضاعة والجبانة والرياء ، نريد ان نعرف ونتحسس وشعرنا اصم متخم بالجهل .

وتحت مطرقة النقد القاسية نشط الشعراء الى التجديد فاذا بهم ينأون واذا بالشعر يتاع في ايديهم ، فبعد ان كان الفاظاً اصبح تخنثاً في الالفاظ من مثل عربدة الجمال وغفوة النور وما اليه من هذيان ، ولولا طائفة ظهر اكثرها في المهجر وسائرها من هنا

وهناك ، لساء الظن بمستقبل الادب العربي الحديث . ان فجر ادبنا الحق سينبثق ويطل من افق هذه الطائفة وحدها ، ولعل من اكبر هذه الطائفة الاستاذ الصافي ، فعنده حقيقة شعرية وله لون شديد الاسر وطابع اتمنى ان يشيع .

ولا اذهب بالقــارىء في احاديث تبعدني واياه عن حديث الاغوار ديوانه الجديد ، لنتقلب معه قليلاً وننعم به قليلاً .

الصافي في الاغوار ، مرة فكر مندّى بعبق الشاعرية المتنفسة بالجمــال ، مثل اثواب الروح وعين الآله وطرائق المدينة والشعور المبهم واغنية السكوت واللانهاية والحرية الخالدة . ومرة فكر فقط ، مثل روح الاله والتناقض والعكس والشك وضلال العقل والاوهام العالية . ولكنه في حاليه ، دنيا جديدة في الشعر وطرفة ماتعة في الفكر .

وانا في هذه الكلمة السانحة لن اطمع بعرضه في كل مايتموج به من نزيّات شتى ونزعات ، فهذا درس يقتضيني كثيراً ولكنني مع ذلك اقف عند قطعة منه بعنوان الحياة :

خففي السير، قصري الخطوات   يا حيــاة تعدو بنا للممات
انت سر الممات حقاً ، فاني   ما جرعت الممات لولا حياتي
انت معنى الموت لكن عميق   ليس يبدو لأعمق النظرات
انا لمــا ولدت ، رنّ بأذني   في التهـــاني توجع النادبات

هذه القطعة شاركه معناها المعري في داليته المشهورة (غير مجد) وابن الشبل البغدادي في همزيته :

صحة المرء للسقام طريق   وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا   أقتل الداء للنفوس الدواء

بيد ان المعري لم يقع عنده مثل « رن باذني في التهـــاني توجع النادبات » ، وابن الشبل لم يملك مثل « انت سر الممات حقاً » . ان ذلك التصور في الرنين الذي تختلط فيه اصداء الاسى باصداء البشرى فاتن حقاً ، وان هذا التصور الآخر الذي يرسم الفناء بانه تجسّد في خدعة يدعونها الحياة اكثر فتنة واكثر ابداعاً .

وفي الحق اننا من هذا الديوان في اتجاه افق بكر في الشعر العربي الحديث .

عبدالله العلايلي

قلب الام

مجموعة قصص للاستاذ عبد المجيد لطفي – ٨٠ صفحة –
منشورات الزهراء – العراق

في العراق ادب ، وفي العراق ادباء – كما يقول ناشر هــذا الكتيب ، وقد تصفحته ، فتساءلت : أهذا هو الادب العراقي ؟

وقد لفت نظري بصورة خاصة ، في هذه المجموعة الصغيرة ، انها على قلة مادتها ، ليست كلها من وضع المؤلف ، لانها تقسم الى قسمين : ١ – قسم معرب عن التركية للكاتب التركي رشادنوري قوامه اربع قصص .

٢ – قسم عربي من وضع عربي ، قوامه ست قصص .

وقد بحثت علي اجد فرقاً مــا بين القسمين ، فلم اجد . حتى ظننت ان المؤلف العربي ، لم يستطع التخلص من تأثير الادب التركي ، وانه ربما كانت ثقافة اديبنا العربي ، الى حد بعيد ، ثقافة تركية .

اما اسلوب الكاتب القصصي فممتاز جداً ، وعبارته رشيقة ، لولا بعض هنات هنــا وهناك ، واني على يقين بان للاستاذ لطفي مستقبلاً زاهراً في القصة ، اذا تعهد فنه ، واصلح لغته .

احمد مكي

الاصائل والاسحار

مجموعة شعر للاستاذ حسن البحيري – ١٤٠ صفحة –
طبع شركة فن الطباعة – القاهرة

هو ديوان يضم بين دفتيه طائفة غير قليلة من المقطعــات الى طائفة من القصائد، وصفتها العامة انها من النوع الغنائي والشاعر في اكثرها يقيد خطرات قصيرة جميلة ويزيد بجمالها ما قد وفق اليه من ديباجة منتقاة في الاكثر ولنسمعه في قوله :

قبل الليل فم الصبح وولى
وتجلى النور في الافق وهلّا
وارتدى الكوكب من نور وشاحا
اذ بدا الفجر على الوادي ولاحــا
وشدا الطير وهز السوسنا
فهفــا ينفض عنه الوسنــا
وانا ما زلت في ليل شجوني   الخ.

وفي الحق انه يقدم بهذا الديوان باقة بل باقات من الشعر الجيد الجميل وان كان لا يخلو احياناً من هنــات لغوية لا تغض منه مثل (بين هجر وصدود) وفي مثله ينبغي ان توسط بين اخرى . وعلى كل فباكورته هذه عنوان على مستقبل شعري خصب .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

لندن ٣١ تموز – استولى الجيش الاحمر على كوفنو عاصمة ليتوانيا .

لندن – استولى طابور اميركي على « ابرانش » وهي احدى الزوايا التي تتألف منها مقاطعة بريتاني .

لندن ٢ آب – سقطت مدينة فيلديو في ايدي القوات الاميركية التي استولت على ابرانش .

انقره – اعلن سراج اوغلو رئيس الوزارة التركية في اجتماع عقده المجلس الوطني الكبير « البرلمان التركي » ان تركيا قطعت علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع المانيا، فوافق المجلس على هذا القرار بالاجماع .

هلسنكي – استقال ريتي من رئاسة الجمهورية الفنلندية وقد عين المرشال مانرهايم خلفاً له بمقتضى اقتراح قدمه رئيس الوزارة الى مجلس النواب فوافق عليه المجلس .

لندن ٣ – حررت القوات الاميركية المقاتلة في « بريتاني » عاصمتها « رين » التي يبلغ عدد سكانها ٣٠ الف نسمة وهي اكبر مدينة يحتلها الحلفاء في فرنسا حتى الآن .

لندن ٤ – سقطت مدينة ميتيكينا في ايدي القوات الحليفة ، وهي تعتبر من اهم القواعد اليابانية في شمال بورما . وقد ظلت تحت سيطرة اليابانيين مدة تزيد على السنتين .

بيروت – زار الرفيق نوفيكوف سفير الولايات المتحدة في مصر ، الحكومة اللبنانية رسمياً ، واعلنت في هذه الزيارة الرسائل المتبادلة بين الحكومتين اللبنانية والسوفياتية والتي تنص على اقامة تبادل سياسي بين هاتين الحكومتين .

لندن ٧ – اصبحت القوات الاميركية التي ترحف شرقاً باتجاه باريس على مقربة من لافال وعلى مسافة ١٥٠ ميلاً من جنوب غربي العاصمة الفرنسية وقد عبرت هذه القوات نهر ماين واستولت على مدينة مايين .

لندن – استولى الجيش الاحمر على درو هوبيتش في جبال الكربات

لندن ٨ – لاول مرة منذ بدء الغزو قامت الف طائرة بريطانية دفعة واحدة بهجوم عنيف على المواقع الالمانية جنوبي كان في فرنسا .

لندن ٩ – احتلت القوات الاميركية في تقدمها نحو باريس مدينة لومان .

لندن ١٠ – عقد في بيرل هاربور في هونولولو مؤتمر سري حضره الرئيس روزفلت والجنرال ماك ارثر والاميرال نيميتز والاميرال هلسي والاميرال ليهي واستمرت اعمال هذا المؤتمر ثلاثة ايام عاد الرئيس روزفلت بعدها الى واشنطون . وقد صرح الرئيس روزفلت انهم وضعوا في هذا المؤتمر خطط الهجوم المقبل في سبيل استعادة الفيلبين .

لندن – احتل الاميركيون في فرنسا مدينة سان مالو ، ودخلوا الى مدينة نانت . وتعتبر مدينة نانت اكبر المدن الفرنسية التي دخلها الحلفاء حتى الآن .

لندن ١١ – بدأت القوات البولونية التابعة للجيش الثامن هجوماً جديداً في منطقة الادرياتيك فاستولت على اول هدف لها وهو مدينة « فرانكا فيلا » .

موسكو ١٢ – احتلت القوات السوفياتية مدينة تبشوري وهي عاصمة قضاء جمهورية استونيا .

لندن – استولى الحلفاء في ايطاليا على مدينتي سكاباتزانو ومونتبيرادو

دمشق ١٦ – زار وزير بولونيا المفوض سيجموند فافادوفسكي فخامة رئيس الجمهورية السورية وقدم له اعضاء المفوضية البولونية وسلمه كتاباً من رئيس الجمهورية البولونية يعترف فيه باستقلال سوريا .

لندن ١٥ – نزلت قوات الامم المتحدة الحليفة في عدد من النقاط بين نيس ومرسيليا في جنوبي فرنسا . وكانت اولى القوات النازلة تتألف من ١٤ الف من المظليين وهو اكبر عدد استخدم حتى الان من هذه الفئة ، وتبع ذلك نزول الحلفاء من البحر .

لندن ١٦ – استولت القوات الفرنسية والاميركية التي هاجمت فرنسا الجنوبية على مجموعة جزر « هيار » وبينها ليفانت وكاب بينات على بعد ٢٥ ميلا الى الشرق من طولون .

الجزائر ١٧ – احتل الحلفاء النازلون في جنوب فرنسا كان وسان تروبيز .

موسكو – دخلت قوات المارشال روكوزوفسكي مدينة ساندومير

لندن ٢٠ – بدأ الهجوم الروسي على رومانيا في جبهة « ياسي » يؤازره اسراب قوية من الطائرات .

لندن ٢١ – وصلت القوات الاميركية الى ضفاف نهر السين بالقرب من « مانت » ثم عبرته . ووصلت الطلائع الاميركية الى ضواحي فرساي التي تبعد ١٠ اميال عن قلب باريس .

لندن ٢١ – احتل رجال المقاومة في فرنسا مدينة تولوز

لندن ٢٢ – اتمت قوات الجيش الثامن احتلال فلورنسا بكاملها في ايطاليا .

لندن ٢٣ – بعد انقضاء اربع سنوات وشهرين على الاحتلال الالماني اعلن الجنرال كونيغ اليوم نبأ تحرير باريس على يد قوات فرنسا الداخلية

لندن – في جنوب فرنسا حرر الاميركيون والفرنسيون غرونوبل الواقعة على مسافة ١٤٠ ميلا من الساحل .

لندن – قامت الجيوش الروسية بهجوم جديد في رومانيا واستولت على مدينة جاسي .

لندن ٢٤ – دخل الحلفاء مرسيليا ، وقد تم احتلالها بواسطة القوات الفرنسية .

لندن – قبلت رومانيا شروط الصلح التي عرضها عليها الحلفاء ، واعلنت وقف القتال مع روسيا ، وانتهاء حالة الحرب بينها وبين الحلفاء .

لندن ٢٥ – لا يزال القتال مستمراً بين الالمان والفرنسيين في باريس

نيويورك – عقدت رومانيا الهدنة مع الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا السوفياتية . واخرج المارشال انطونسكو من رئاسة الوزارة وتألفت حكومة جديدة .

لندن ٢٦ – دخلت القوات الاميركية الى باريس وحررتها ، ومعها الفرقة المصفحة بقيادة الجنرال لكلير وقد وقع القائد الالماني امراً بوقف القتال في باريس والاستسلام الى الحلفاء .

لندن – اعلنت الحكومة الرومانية الجديدة الحرب على المانيا .

صوفي اندلسي مجهول

بقية المنشور على صفحة ١٩

•

شربناهـا بدير ليس فيه	سوى الحلاج في خلع العذار
قديم عهدنا بالسكر عزا	وما سكر الفتى منها بعار
نشا في القوم شماس لطيف	يجر الذيل من ثوب الوقار
فافنـاهم به عنهم فتـاهوا	فلم يرويهم شرب البحار
تراهم شاخصين بغير كتب	وقد سلبوا بغير الاختيـار
وعند دخولهم في الدير ألقوا	عصاهم اذ ألموا بالجوار
كما القى الكليم بها عصاه	وولى بالمخـافة للفرار
وخلوا راس مالهم طريحـاً	هناك واقبلوا بالافتقـار
اضاعة مالهم وجبت عليهم	كما وجب السوءال بالاضطرار
لسان الششتري بهم ولوع	وعنهم ما له من اصطبار .

*

ط — تفضيله على استاذه .

رأينا صوراً من شعر الششتري وموشحاته وزجله — ورأيناه كما قلت من قبل — يصدر في بساطة عن فكر عميق . وقد بينا ان ابن خلدون اعتبره رأس مـدرسة في التوشيح وقد دعت بساطة الرجل في التعبير وامتلاكه المعاني في اسلوب فياض . ثم حياته المتجردة . دعا كل ذلك الى تفضيله على استاذه العظيم ابن سبعين لدى بعض الصوفية الاقدمين . ولدينا شاهدان يثبتان هذا :

الشاهد الاول ما يذكره صاحب الاحاطة من « ان اكثر الطلبة يرجحونه على شيخه ابي محمد ابن سبعين . واذا ذكر له هذا يقول : انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وقصور طباعهم »

الشاهد الثاني : ما يذكره ابن عباد الرندي (٧٩٠هـ—١٣٨٨م) في كتابه الرسائل الكبرى ص١٩٧ « والله ما بخلت عليك بسر ، ولا هذا لي بطوق ، وما زال قلبي سبعين في منزع ابن سبعين لا لانكار عليه ، ولا لاعتقاد شيء مما نسبه اهل الجهل المركب اليه . ولكن رأيت كلاماً كثيراً مايعذب ، ويعني القلب ويتعب . . ان كلامه لا يجري على اسلوب واحد . لانه تارة يتنازل حتى يقول القائل هو في يدي اناله مسترق . وتارة يستعلي في الجو المنخرق . . وكلام الششتري عندي اقرب مأخذا من كلامه — اعني كلام ابن سبعين . واما ازجاله ففيها حلاوة وعليها طلاوة . . واما مقطعات الششتري وازجاله فلي فيها شهوة واليها اشتياق . واما تحليتهـا بالنغمة والصوت الحسن فلا تسل . فان قدرتم ان تقيدوا منها ما وجدتموه فافعلوا ذلك . . . »

من هذا يتبين لنا ان تفضيل ابن عباد الرندي للششتري على ابن سبعين انما يعود الى بساطة الاول وسهولة فهمه لا الى عبقرية خاصة في وضع المذهب او في المعاونة على اكماله .

ونحن من ناحية اخرى لا نستطيع ان نعرض مذهب كل منهما كاملا ولا ان نوازن بين عبقرية كل منهما ، فان النصوص التي بين ايدينا قليلة جداً . وحسبنـا اليوم ان نوجه الانظار الى شخصية ممتازة بين متصوفي الاسلام .

الاسكندرية — علي سامي النشار

اليانصيب في خدمة الاسعاف الاجتماعي

كل آت قريب ! فاليوم العاشر من ايلول اصبح على قاب ، قوسين وسيكون العاشر من ايلول يوماً مشهوداً تتألب فيه عشرات الالوف من اللبنانيين والضيوف المصطافين لحضور اكبر حفلة شهدها لبنان من حفلات سباق الخيل وهي الحفلة المسماة « سويبستيك الربيع » .

وقد اخذت مديرية اليانصيب الوطني بالاتفاق مع لجنة السباق تعد العدة منذ الآن لتنظيم هذه المباراة الرياضية الكبرى التي قد تتخذ شكل مباراة دولية ، اذ ان الاقطار الشقيقة المجاورة كمصر وفلسطين والعراق وسوريا ، قد دعيت جميعها للاشتراك بها .

وهذه هي المرة الاولى منذ انشاء سباق الخيل في بيروت يمنح اصحاب الخيول جائزة تبلغ هذا المقدار أي خمسين الف ليرة لبنانية .

وفيما عدا الجائزة الكبرى المخصصة لاصحاب الخيول ، فاليانصيب الوطني يوزع على حاملي اوراق السويبستيك اسهماً رابحة تناهز الاربعمائة الف ليرة ، فالسهم الاول بمئة الف ليرة ، والسهم الثاني بخمسين الف ليرة والسهم الثالث بخمسة وعشرين الف ليرة الخ . . .

ولا بد من الاشارة الى ان لجنة اليانصيب الوطني اللبناني قررت بجلستها المنعقدة بتاريخ ٢٧ آذار سنة ١٩٤٦ ، وقف ريع اليـانصيب على بناء مدينة صحية اجتماعية تحتوي على مستشفيات ومختبرات وملاجيء ودور وقاية واصلاحية للقصر ومنشئات متنوعة لحماية الاحداث .